المجلس الأعلى للثقافة

المشروع القومى للترجمة



لك ...

علم العلامات

< تأليف >

بول كوبلى

و ليتسا جانز

< ترجمة >

جمال الجزيرى

< مراجعة وإشراف وتقديم >

إمام عبد الفتاح إمام



المشروع القومى للترجمة

أقـدم لك ..

علم العلامات

تأليف

بول كوبلى

و

ليتسا جانز

ترجمة

جمال الجزيرى

مراجعة وإشراف وتقديم

إمام عبد الفتاح إمام



٢٠٠٥

المشروع القومى للترجمة
إشراف: جابر عصفور

- العدد : ٥٤٩
- علم العلامات
- بول كوبلى
وليتسا جانز
- جمال الجزيرى
- إمام عبد الفتاح إمام
- الطبعة الأولى: ٢٠٠٥

هذه ترجمة للكتاب:
Semiotics
By
Paul Cobley
and Litza Jansz
الصادر عن: ICon Books

شارع الجبلاية بالأوبرا - الجزيرة - القاهرة. ت: ٧٣٥٢٣٩٦ فاكس: ٧٣٥٨٠٨٤
El Gabalaya St. Opera House, El Gezira, Cairo
Tel: 7352396 Fax: 7358084

الفهــــرس

الموضوع	الصفحة



« مقدمة »

بقلم المراجع

أقدم لك هذا الكتاب .. !

هذا هو الكتاب الخامس والأربعون في سلسلة «أقدم لك .. !». وهو يدرس واحداً من العلوم الحديثة هو «علم العلامات»، أو السيميوطيقا «Semiotics». الذي كان أستاذنا الكبير الدكتور زكي نجيب محمود أول من أشار إليه في اللغة العربية عام ١٩٥٣ في كتابه «خرافة الميتافيزيقا» في مجال التحليل الفلسفي: لاسيما عند الفيلسوف النمساوي الأصل ـ الأمريكي الجنسية «رودلف كارنب .. R. Carnap» (١٨٩١ ـ ١٩٧٠) وأسماه علم الرموز. وكان كارنب قد أنفق في ميدان هذا العلم شطراً كبيراً من جهده، ووضع فيه المؤلفات الفنية التي تحتاج دراستها إلى تخصص وانقطاع(١) وقد قسمها ثلاثة أقسام:

١ ـ البراجماطيقا Pragmatics، وهي تبحث في المتكلم نفسه باعتباره أداة الكلام.

٢ ـ السمانطيقا Semantics. وهي البحث في مدلولات الألفاظ.

٣ ـ السنتاطيقا Syntax (وكان يتم ترجمتها بالبناء اللفظي، ولكنه يفضل أن ينقل اللفظ كما هو)، وتعني بالبحث في العبارات اللفظية نفسها من حيث تركيبها. وتكوينها بغض النظر عن المتكلم. وبغض النظر أيضا عما تشير إليه الألفاظ من حيث مدلولاتها.

أما كتابنا الحالي فهو يبدأ دراسة العلامات منذ بداية تاريخ الفلسفة من أفلاطون في بعض محاوراته، وأرسطو في كتاباته اللغوية، ثم الرواقية، والأبيقورية ماراً بالعصور الوسطى لاسيما القديس أوغسطين في القرن الرابع الميلادي الذي أشار إلى العلامات التي يخلقها العرف. حتى الراهب «وليم الأوكامي»، والفيلسوف التجريبي

---

(١) د. زكي نجيب محمود «خرافة الميتافيزيقا» مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة عام ١٩٥٣ ص٢٠٣ . وهي نفس الصفحات في طبعتها الجديدة «موقف من الميتافيزيقا» دار الشروق ط٢ عام ١٩٨٣ .

فى القرن السابع عشر ... إلخ ؛ غير أن المؤلف ينبهنا إلى إنه رغم الجهود التى بذلها الفلاسفة طوال التاريخ، فإن علم العلامات لم يظهر إلا فى القرن العشرين على يد عالم اللغويات السويسرى «ف. سوسير»(١٨٥٧ - ١٩١٣) الذى كلفته جامعة جنيف عام ١٩٠٦ بتدريس مقرر دراسى كامل فى علم اللغويات، وهى مهمة لم يقم بها من قبل. وبدأ، منذ ذلك الحين، علم العلامات فى الظهور، كما ظهر مصطلح خاص هو Semiology ارتبط بالمدرسة الأوربية فى دراسة هذا العلم، فى مقابل مصطلح آخر هو Semiotics الذى ارتبط بصفة خاصة بالمدرسة الأمريكية، والذى بدأ بالفيلسوف البرجماتى الأمريكى «تشارلز ساندرز بيرس» (١٨٣٩ - ١٩١٤) صاحب النظريات المنطقية، واللغوية.

ويمثل عمل «بيرس»، و «سوسير» الإطار المرجعى الأساسى لعلم العلامات فى القرن العشرين، كما أنهما يمثلان حلقة اتصال بين فلاسفة الماضى من أفلاطون، وأرسطو، حتى جون لوك، وتوماس ريد، وما أنتجوه من أتباع أمثال «رولاند بارت» المفكر الفرنسى الشهير الذى صدر عنه العدد رقم «٤٣» من هذه السلسلة، وكلود بيفى شتراوس (المولود عام ١٩٠٨)وغيرهما من علماء اللغة، حتى البنيوية وما بعدها.

أما مؤلف الكتاب «بول كوبلى» فهو محاضر فى جامعة لندن، وله العديد من المؤلفات. أما الفنانة «ليتزا» التى قامت بتصميم الرسوم التوضيحية فهى تحاضر فى كلية الإعلام، وقد قامت بعمل الرسوم التوضيحية للعديد من الكتب مثل «الفاشية»، و «القتل الجماعى» .. إلخ.

وبعد

فإننا لنأمل أن نكون بترجمة هذا الكتاب قد أضفنا جديداً إلى المكتبة العربية.

والله نسأل أن يهدينا جميعًا سبيل الرشاد.

المشرف على سلسلة « أقدِّم لك .. »

إمام عبد الفتاح إمام

إذا ذهبت إلى الحفلات شبه الرسمية اليمينية، أو تسكعت في ردهات السينما اليمينية. أو قرأت الملاحق الملونة لجريدة سنداى Sunday اليمينية، أو شاهدت برامج الفنون اليمينية آخر الليل على شاشة التليفزيون، عندئذ ستدرك أن «علم العلامات» Semiotics كلمة رنانة قيمة.





من الرواد الأوائل لعلم العلامات أفلاطون (ح ٤٢٨ - ٣٤٨ ق.م) الذى يتأمل فى محاورة كراتيلوس Cratylus أصل اللغة، وأرسطو (٣٨٤ - ٣٢٢ ق.م) الذى يولى عناية بالأسماء فى كتابية فن الشعر، وعن التأويل.

الكلمة Semiatics مشتقة من الجذر اليونانى seme، كما فى كلمة Semeiotikos التى تعنى مؤول العلامات.

وعلم العلامات هو تحليل العلامات، أو دراسة طريقة عمل أنظمة العلامات.

من السهل علينا أن نفهم مقولة
إن أنظمة العلامات ذات أهمية كبيرة؛ ومع ذلك فإن
الحاجة إلى دراسة أنظمة العلامات نبعت فى العصر الحديث.
يبدو لى أن هناك فرقاً بين صرخات الحيوانات
وكلام البشر، وهو الفرق بين العلامات الطبيعية
والعلامات العرفية.

حدثت واحدة من أبرز المناظرات حول العلامات فى العالم القديم بين الرواقيين Stous والأبيقوريين Epicureans (٣٠٠ ق . م . فى أثينا) .

تمثلت نقطة الجدل الكبرى فى الاختلاف بين «العلامات الطبيعية» (التى تحدث تلقائيًا فى الطبيعة) والعلامات «العرفية» (المخصصة للتواصل على وجه الدقة) .

رأى الرواقيون بوجه خاص أن العلامة المثالية هى ما نطلق عليه اسم العَرض الطبى .



ظل العَرضَ علامة نموذجية طوال الفترة الكلاسية.

وضع الأساس الأكبر لاستنطاق الغرب للعلامات فى العصور الوسطى نتيجة لتعاليم القديس أغسطين (٣٥٤ - ٤٣٠).

طوَّر أغسطين نظريته فى العلامات العرفية Signa data. وعلى خلاف الشارحين الكلاسيين، قدَّم أغسطين هذه العلامات بصفتها الموضوعات المناسبة للتمحيص الفلسفى.



كما ساعد أيضًا على تضييق مجال دراسة العلامات، بأن أظهر موقفه حيال الطريقة التى تبدو من خلالها الكلمات على أنها «قرائن» «كلمات ذهنية».

كان لهذا التضييق الذى قام به أغسطين، أثر كبير على دراسة العلامات بعده.

هناك باحثون آخرون أمثال الراهب الفرانسيسكانى الإنجليزى وليام الأوكامى (ح ١٢٨٥ - ١٣٤٩)، ممن أدوا إلى تفاقم هذا التأويل للعلامة.



فردينان دى سوسير (١٨٥٧ - ١٩١٣)



في عام ١٩٠٦، قدمت له جامعة جنيف بضربة حظ الحافز لينتج أحد العلامات البارزة فى علم اللغة، وبالتالي في علم العلامات.

كُلف سوسير بمهمة تدريس دورة دراسية في علم اللغة العام (١٩٠٦ - ١٩١١)، وهي مهمة لم يقم بها من قبل، وتناول فيها موضوعا لم ينشر حوله كتابا أثناء حياته.

ومع ذلك، عندما مات سوسير عام ١٩١٣، رأى تلامذته وزملاؤه أن دروسه كانت مبتكرة جدا، لدرجة أنهم جمعوها من ملاحظاته المدونة ونشروها عام ١٩١٦ بعنوان دروس في علم اللغة العام.



يركز كتاب سوسير على طبيعة العلامة اللغوية. وأبدى سوسير بعض الملاحظات الجوهرية التي لا غنى عنها في فهم الدراسة الأوربية لنظم العلامات.

عرف سوسير العلامة اللغوية بأنها كيان ذو وجهين، أي ثنائي. أحد وجهي العلامة هو الدال، والدال هو الجانب المادي تماماً من العلامة. إذا تحسس المرء أحباله الصوتية أثناء الكلام، سيتضح له أن الأصوات تنتج من إهتزازات (وهي مادية بدون شك)، وصف سوسير الدال اللفظي بأنه «الصورة الصوتية».



ما يطلق عليه سوسير المدلول لا ينفصل عن الدال في أية علامة، وهو بالفعل يولده الدال.

هذا مفهوم ذهني.

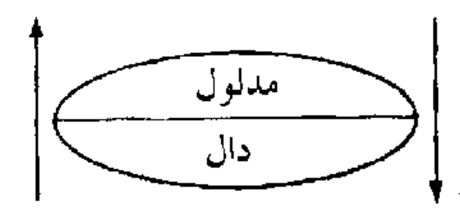
إذا أخذنا الكلمة dog [كلب] في اللغة الإنجليزية (تتكون من الدوال /g/، /o/، /d/)، لا يتولد في أذن السامع الكلب «الحقيقي»، بل مفهوم ذهني «للكلبية» dog-ness.



المفهوم له الأولوية فى
مخطط سوسير



تلازم المدلول (المفهوم الذهنى) ، والدال (الجانب المادى) يجعل سوسير يقدم الشكل التالى .



من الواضح أن سوسير يعتقد أن عملية التواصل من خلال اللغة ، تشتمل على تحويل محتويات الذهن .

العلامات التى تكون شفرة الانتقال بين الفردين «تفتح» محتويات مخ كل منهما ، وهذا الدمج لمحتويات الذهن بنوع خاص من شفرة العلامة ، يشجع سويسر على وضع علم جديد .

لكن كيف تعمل تلك العلامات التى يدرسها علم العلامات عملاً فعلياً ؟

الطبيعة الاعتباطية للرابطة بين الدال، والمدلول شيء جوهرى فى فهم سوسير للعلامة اللغوية.

ليس بالضرورة أن يتولد المفهوم الذهنى لكلمة dog من الدال الذى يتكون من الأصوات /d/, /o/, /g/، فى الواقع، يتولد هذا المفهوم عند الفرنسيين من الدال Chi-en، بينما يتولد عند الألمان من الدال hund.

فى اللغة الإنجليزية، إذا إتفق مجموعة كافية من الإنجليز، يمنكهم أن يستخدموا كلمة woofer، أو حتى blongo، أو glak لتحل محل كلمة dog.

بمعنى أنه لا يوجد سبب طبيعى فى أن الدال dog يجب أن يولد المدلول، فالارتباط بين الاثنين ارتباط اعتباطى.



يستخدم سوسير المصطلح علم العلامات semiology، فى مقابل المصطلح Semiotics، وسيصير المصطلح الأول مرتبطاً بالمدرسة الأوربية فى دراسة العلامات، بينما سيرتبط المصطلح الثانى فى الأساس بالمنظرين الأمريكان، وفيما بعد سيستخدم المصطلح semiotics (علم العلامات) ليدل بوجه عام على تحليل نظم العلامات.

السبب الوحيد فى أن الدال يولد المدلول، هو أن هناك علاقة عرفية فاعلة.

القواعد المتفق عليها تحكم العلاقة (وهذه القواعد فاعلة فى أى مجتمع لغوى)؛

لكن إذا كانت العلامة لا تشتمل على علاقة «طبيعية» ذات دلالة، عندئذ كيف تعمل العلامات؟

يرى سوسير أن العلامة تحدث دلالتها نتيجة لاختلافها عن العلامات الأخرى. وهذا الاختلاف هو الذى يولد إمكانية وجود مجتمع لغوى.

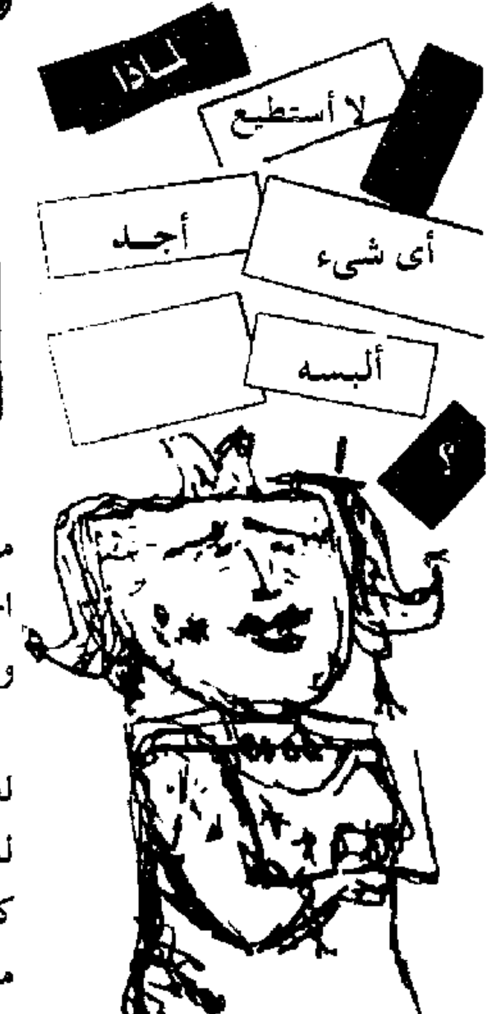


ملحوظة: يجب علينا أن نتذكر مبدأ الاختلاف، الذى يولد النظام عندما ننتقل إلى إلقاء نظرة على ما بعد البنيوية.

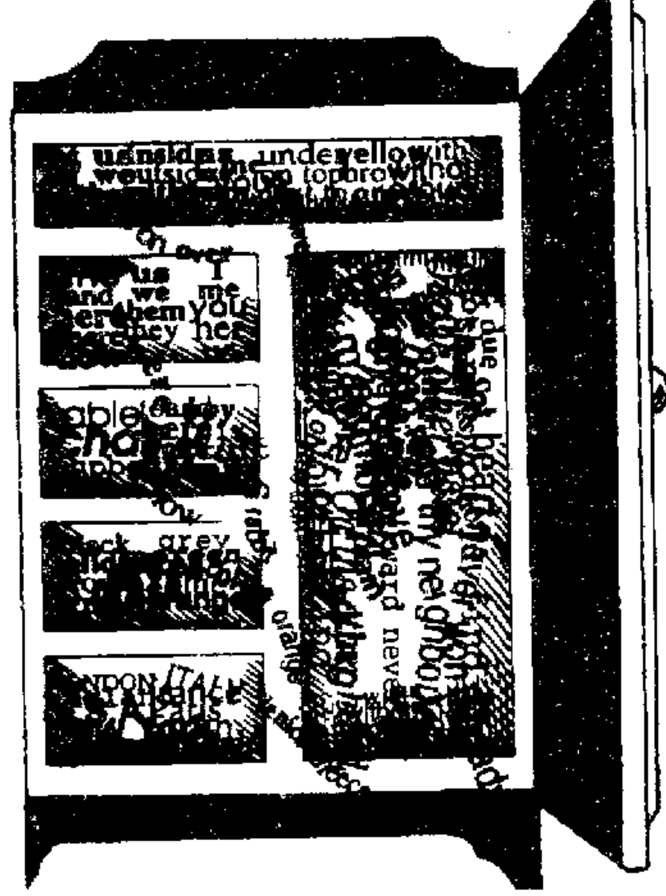
الكلام: الأفعال الفردية للكلام

اللغة: نظام الاختلافات بين العلامات

يمكننا أن نعتبر اللغة دولابًا مشتركًا، يفهم كل العلامات المختلفة الممكنة التي يمكن إخراجها من الدولاب، واستخدامها في تركيب حالة من حالات الكلام



يصف الطريقة التى من خلالها تتكون الظاهرة العامة للغة (فى الفرنسية) من عاملين:



من الواضح أن، كون اللغة نظامًا (لغة) يستخدمه الجميع، يعنى أيضًا أنها ظاهرة اجتماعية قلبًا وقالبًا.

لكن لاحظ أيضًا ، أن النظام نظام مجرد ـ مثل لعبة شطرنج ناجحة، نادرًا ما تكون هناك حاجة للتوقف والرجوع إلى كتاب قواعد، لتتأكد ما إذا كانت حركة ما (قول) مشروعة أم لا، فالقواعد معروفة دون الحاجة بالضرورة إلى أن تكون ملموسة.

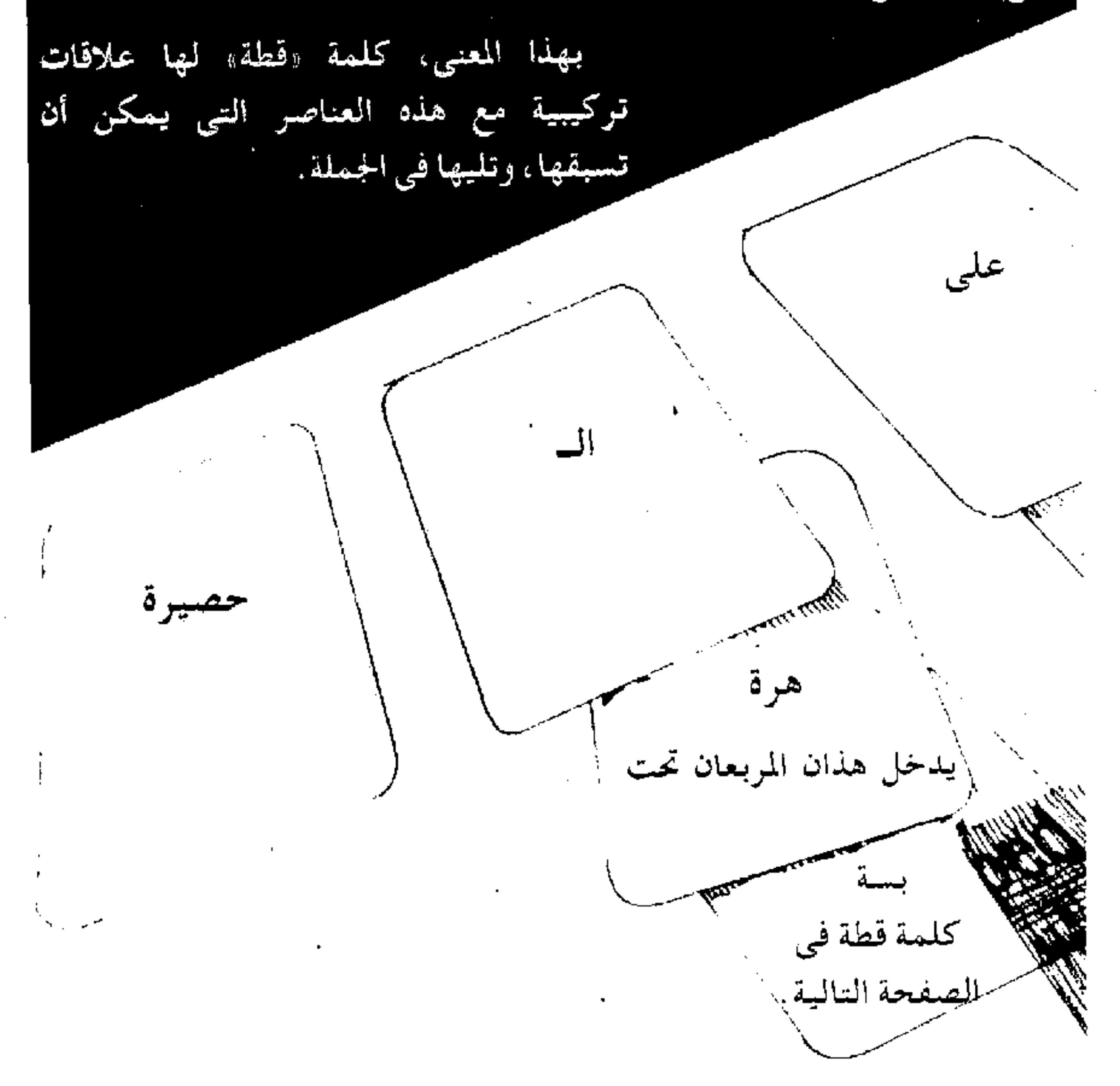
هناك بنية أخرى للغة توجد داخل تصور سوسير للغة، وهذه البنية تخص القيود المفروضة على تركيب، وإحلال العناصر اللغوية.

إذا أخذنا مجموعة العلامات «القطة جلست على الحصيرة»، سنجد أن عضواً مثل «قطة» يمكن أن يحدث دلالته؛ لأنه مختلف عن «حصيرة» ، «على» «جلست»، وكذلك عن «مشنقة»، «شاحنة»، «البابا»، «الجمرة الخبيثة»، إلخ.

لكن انظر كيف تركب مع عناصر أخرى

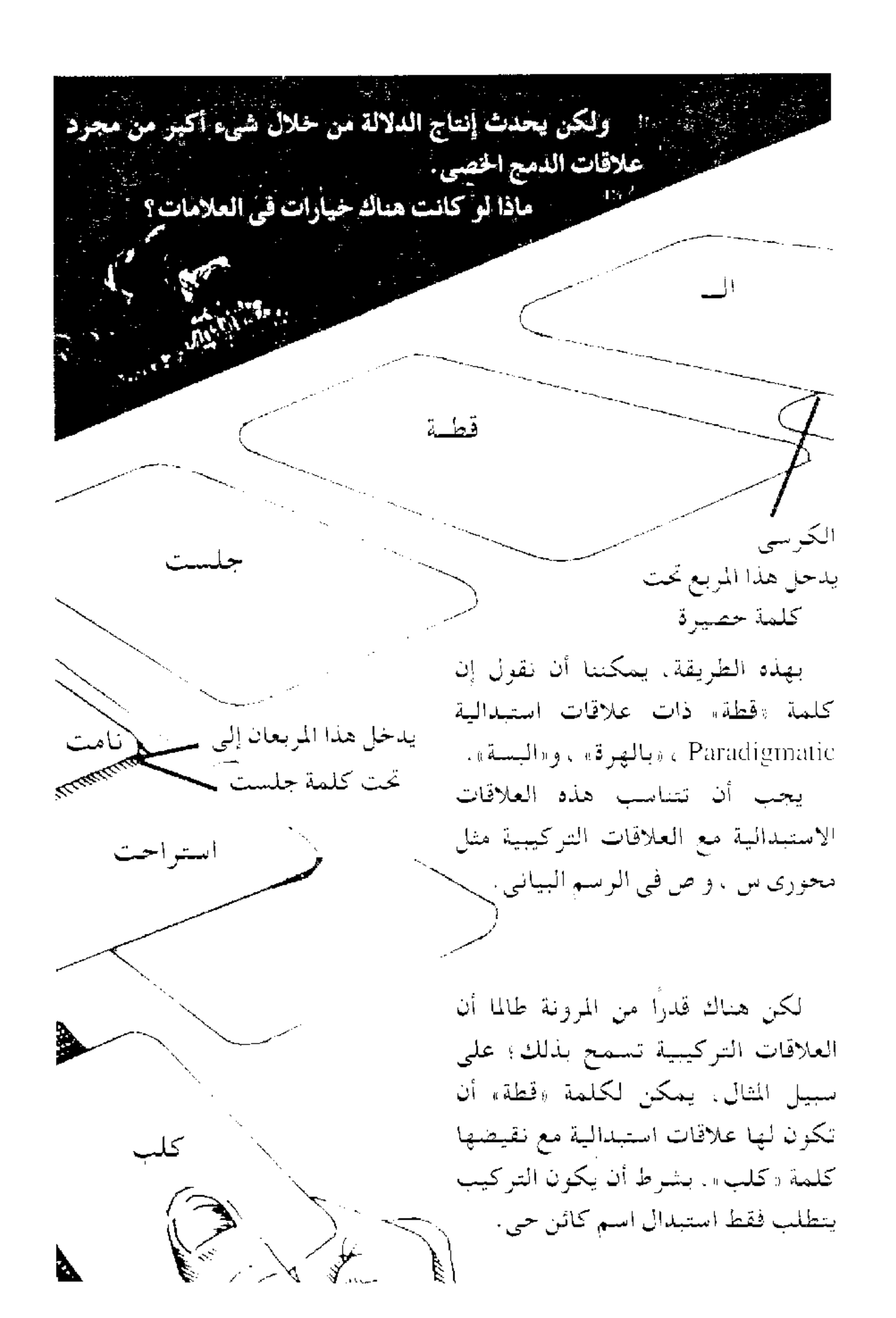
يمكنها أن تظهر في نظام صارم مع «جلست»، «على»، «الحصيرة» لتشكل تركيباً، أو نموذجاً لغوياً syntagm (أى مجموعة مرتبة منطقياً من العلامات، مثل جملة ، أو شبه جملة».

بهذا المعنى، كلمة «قطة» لها علاقات تركيبية مع هذه العناصر التى يمكن أن تسبقها، وتليها فى الجملة.



ولكن يحدث إنتاج الدلالة من خلال شيء أكبر من مجرد علاقات الدمج الخطى.

ماذا لو كانت هناك خيارات فى العلامات؟



بهذه الطريقة، يمكننا أن نقول إن كلمة «قطة» ذات علاقات استبدالية Paradigmatic ، «بالهرة» ، و«البسة».

يجب أن تتناسب هذه العلاقات الاستبدالية مع العلاقات التركيبية مثل محورى س ، و ص فى الرسم البيانى.

لكن هناك قدراً من المرونة طالما أن العلاقات التركيبية تسمح بذلك ؛ على سبيل المثال، يمكن لكلمة «قطة» أن تكون لها علاقات استبدالية مع نقيضها كلمة «كلب»، بشرط أن يكون التركيب يتطلب فقط استبدال اسم كائن حى.

تشارلز ساندرز بيرس



أثناء إقامته العادية جداً في هارڤارد، عمل بيرس في الصيف في هيئة مساحة الأرض، والسواحل الأمريكية، وهي هيئة ستستمر لمدة ثلاثين سنة، وظل بيرس يقدم فيها إسهامات عظيمة في علم مساحة سطح الأرض، وعلم الفلك.

بالرغم من ذلك، لم يستطع بيرس أبداً أن يحصل على حياة أكاديمية مستقرة، يمكن أن تمكنه من أن تقوى كتابته المبهمة.

انفصل عن زوجته زاينا فاى عام ١٨٧٧، وطلقها في النهاية، وفي عام ١٨٣٣ تزوج امرأة فرنسية تدعى چولييت بورتاليه، كان يعيش معها قبل أن يطلق زاينا، ولا يبدو هذا الأمر معضلة كبيرة في أيامنا هذه.



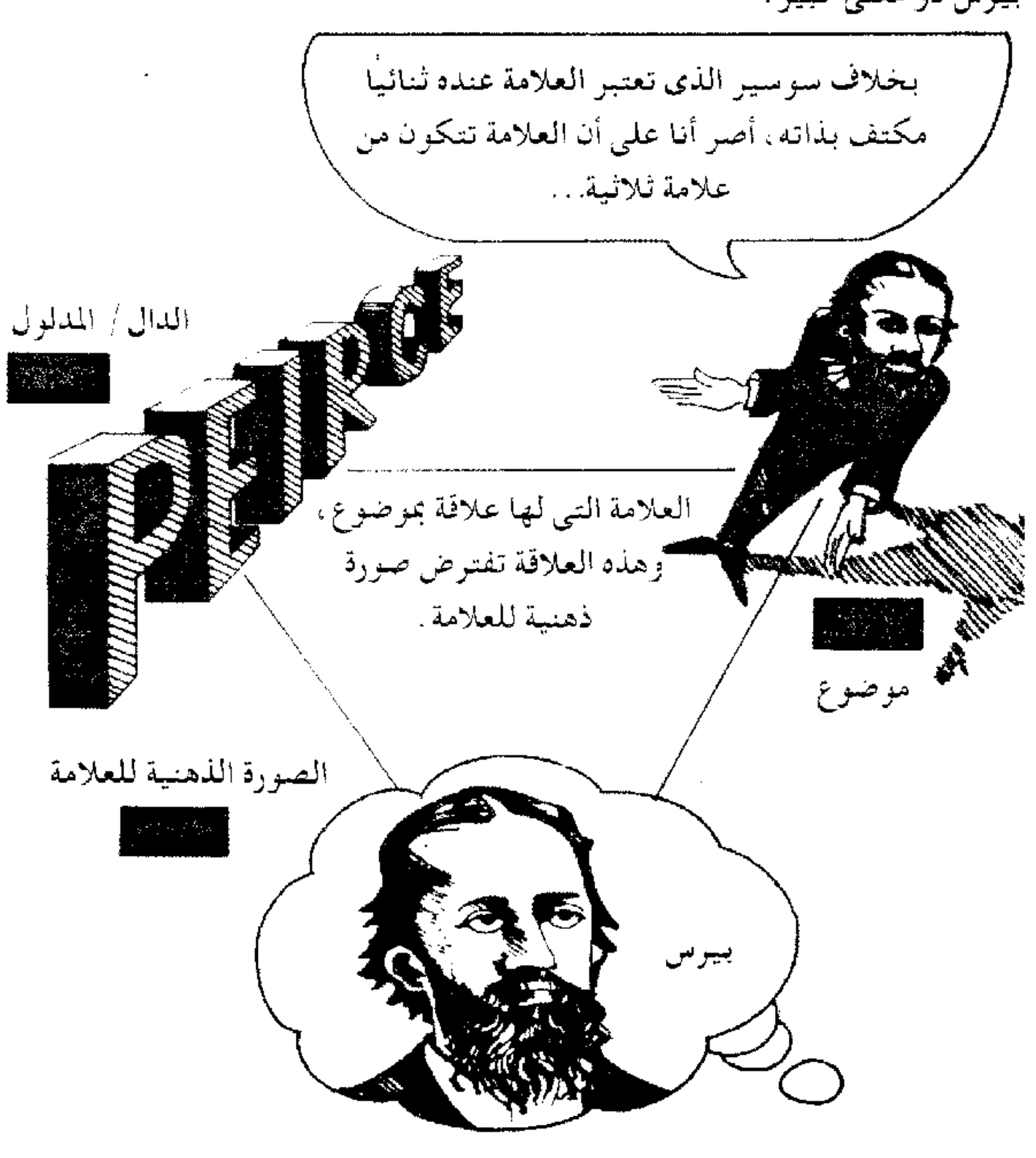
بالإضافة إلى ما حكته، أدى أسلوب حياة بيرس غير المقبول إلى إنهاء وظيفته الوحيدة كمحاضر في الجامعة، فبعد أن عينه أمناء جامعة جون هوبكنز ليدرس المنطق عام ١٨٧٩، تسببوا في هبوط بيرس على سلم الدمار.



طوال ما تبقى من حياته، في فترة من التاريخ الأمريكي تعاصرت فيها قصص هوراشيو ألجر، التي تصف تحول البطل من الفقر، والتشرد إلى الغنى والاحترام الاجتماعي، مع الداروينية الاجتماعية ذات الطبقات التي توجد حدود صارمة بينها - احتال بيرس على صعوبات الحياة بكتابة مقالات للمجلات الشعبية.

لكن بيرس خلّف وراءه مجموعة ضخمة من الكتابات (جمعها محررو أعماله فى ثمانية مجلدات فى الفترة (١٩٣١ - ١٩٥٨) ، وكان معظمها لم ينشر بعد . فى هذه الكتابات ، طوّر بيرس منطقه، وفلسفته التى تدور فى إطار ما أسماه علم العلامات Semeiotic ، أى نظريته فى العلامات .

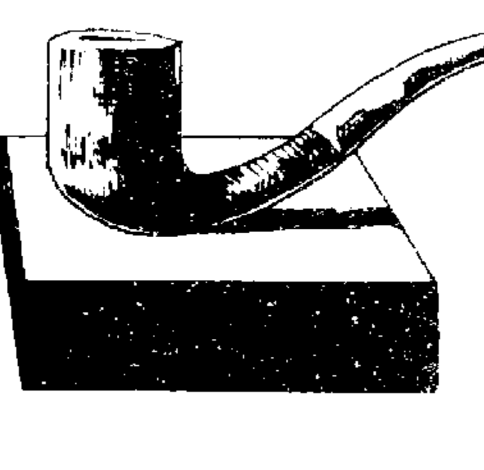
بداية من بحثه الذى يرجع إلى عام ١٨٦٧ بعنوان «حول قائمة جديدة للمقولات» ، قضى بيرس ما تبقى من حياته يطور نظرية ثلاثية فى العلامة ؛ وبالرغم من أنه اعترف بانشغاله بالرقم ٣ ، فإنه من السهل علينا أن ندرك أن شكل علامة بيرس ذو معنى كبير .





العلامة أو الممثل هي ببساطة عبارة عن: شيء يمثل بالنسبة لشخص ما شيئًا ما في ناحية معينة.

الموضوع هو ما تمثله العلامة/ الممثل؛ بالرغم من إنه أكثر تعقيداً عن ذلك إلى حد ما، لأنه يمكن أن يكون:



موضوعًا مباشراً:
الموضوع كما تمثله العلامة

موضوعًا ديناميًا:
الموضوع مستقلاً عن العلامة التي تؤدى إلى إنتاج العلامة.

الصورة الذهنية للعلامة interpretant أكثرهم مراوغة؛ فهي ليست «المؤول» ؛ بل «أثراً دلالياً ملائماً».

فى أغلب الأحيان، يُنظر إليها على أنها العلامة فى الذهن، تنتج من لقاء الذهن بالعلامة.



هذه نقطة بداية جيدة، بالرغم من أنه من الأكثر دقة أن نعتبر الصورة الذهنية للعلامة نوعاً من «النتيجة» الحقيقية، فعلى سبيل المثال، يمكننى أن أشير إلى السماء، بدلاً من أن أسجل دلالة السماء، وستنظر أنت فى اتجاه الإصبع الذى أشير به.

وبالتالى يتم إنتاج صورة ذهنية للعلامة.

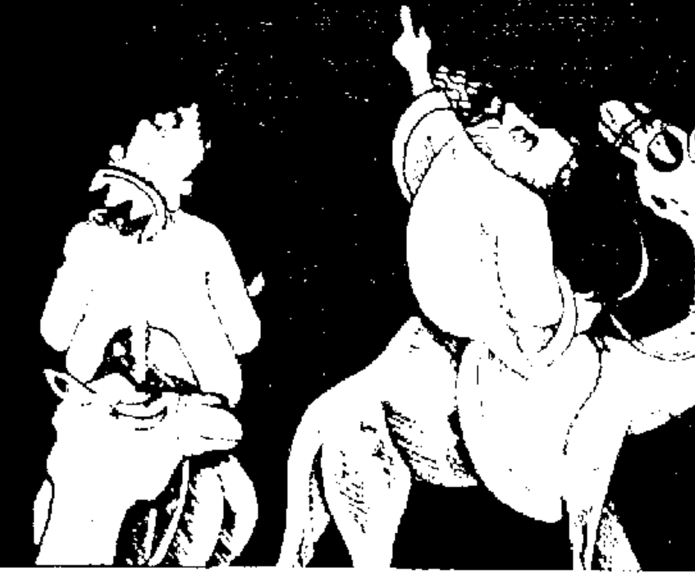
ولكن، مثل الموضوع، هناك أكثر
من نوع من الصور الذهنية.



الصورة الذهنية المباشرة
تتجلى فى الفهم الصحيح للعلامة (على سبيل المثال)، النظر إلى السماء، ورؤية النجم الذى يشير إليه الإصبع بدقة).

الصورة الذهنية الدينامية
وهى نتيجة مباشرة للعلامة (على سبيل المثال)، النظر إلى السماء بوجه عام استجابة للإصبع الذى يشير إليها».

الصورة الذهنية النهائية
وهى النتيجة النادرة نسبيا للعلامة التى تعمل بصورة كاملة فى أية حالة من حالات استخدامها (على سبيل المثال)، النظر بدقة إلى النجم الذى يشير إليه الإصبع وإدراك أن الإصبع يشير إلى أن النجم هو نجم الأقرب القنطورى Prox-ima centauri).



لكن ذلك ليس نهاية القصة.

بينما تحتاج علامة سوسير (المدلول / الدال) إلى أن تندمج مع علامات أخرى حتى تلعب دورها فى تدفق المعنى، نجد أن رؤية بيرس للعملية الدلالية ذات دينامية داخلية.

تذكر: قلنا إن الصورة الذهنية مثل علامة أخرى أو «علامة فى الذهن»، وبذلك تلعب الصورة الذهنية دوراً مهماً فى ثلاثية العلامة.

فى شكلها كصورة ذهنية، تستطيع أيضاً أن تتخذ شكل علامة أخرى / ممثل آخر.

يضعها ذلك فى علاقة مع موضوع آخر الذى يولد بدوره صورة ذهنية أخرى تتحول إلى علامة / ممثل تكون / يكون على علاقة مع موضوع آخر، الأمر الذى يولد صورة ذهنية أخرى؛ وهكذا إلى ما لا نهاية.

موضوع O

موضوع O

علامة

i/R

علامة / صورة ذهنية

موضوع O

i/R موضوع O

i/R

علامة / صورة ذهنية

i/R

علامة / صورة ذهنية

i/R

i/R

موضوع

علامة / صورة ذهنية

علامة / صورة ذهنية

i/R

i/R

O

علامة / صورة ذهنية

O موضوع

O موضوع

يجدر بنا أن نتذكر هذه القدرة عندما نتناول علاقة دريدا بعلم العلامات

هذا المبدأ الذى يتمثل فى الصورة الذهنية للعلامة التى تولد علامات أخرى مألوف جداً منا فى الحياة اليومية، كلنا ندرك كيف أن علامة ما تثير سلسلة من التداعيات التى تبدو فى النهاية شديدة البعد عن العلامة الأولى.



فى علم العلامات، هذه القدرة ـ وهى مجرد قدرة؛ لأن الممارسة الطبيعية تقول: إننا فى حاجة إلى أن نذهب للعمل ، ونقوم بالعمل الممل، ونذهب للنوم، إلخ، بدلاً من أن ننتج علامات على الدوام ـ يشار إليها فى الغالب باسم الإنتاجية غير المحدودة للعلامات Unlimited Semiosis.

ملحوظة: يقال إن شوبير، بعد أن عزف لحنًا جديداً على البيانو، سألته امرأة عن معنى هذا اللحن، لم يقل شوبير شيئا، وكى يجيبها، عاد إلى البيانو وعزف اللحن مرة أخرى، والإحساس الخالص بالموسيقى - أى الأولية - كان معناه.

رؤية بيرس لطريقة عمل العلامات معقدة جداً، عندما يتدبر المرء الطريقة التى تولد بها العلامات علامات أخرى بالضرورة.



لكن الأمر يزداد تشابكًا، لا تعمل العلامة عن بيرس من تلقاء نفسها، بل كتمظهر لظاهرة عامة، حدد بيرس ثلاث فئات من الظواهر التى سماها:

الأولية، الثانوية، الثالثية

من الصعب أن نتصور مجال الأولية Firstness، لكنها تفهم بمعنى «الإحساس» بوجه عام.

ليست للأولية علاقات، لا يجب علينا أن نفكر فيها على أنها مقابل لشىء آخر، وهى مجرد «إمكانية».

إنها مثل النوتة الموسيقية، أو الذوق الغامض، أو الإحساس باللون.

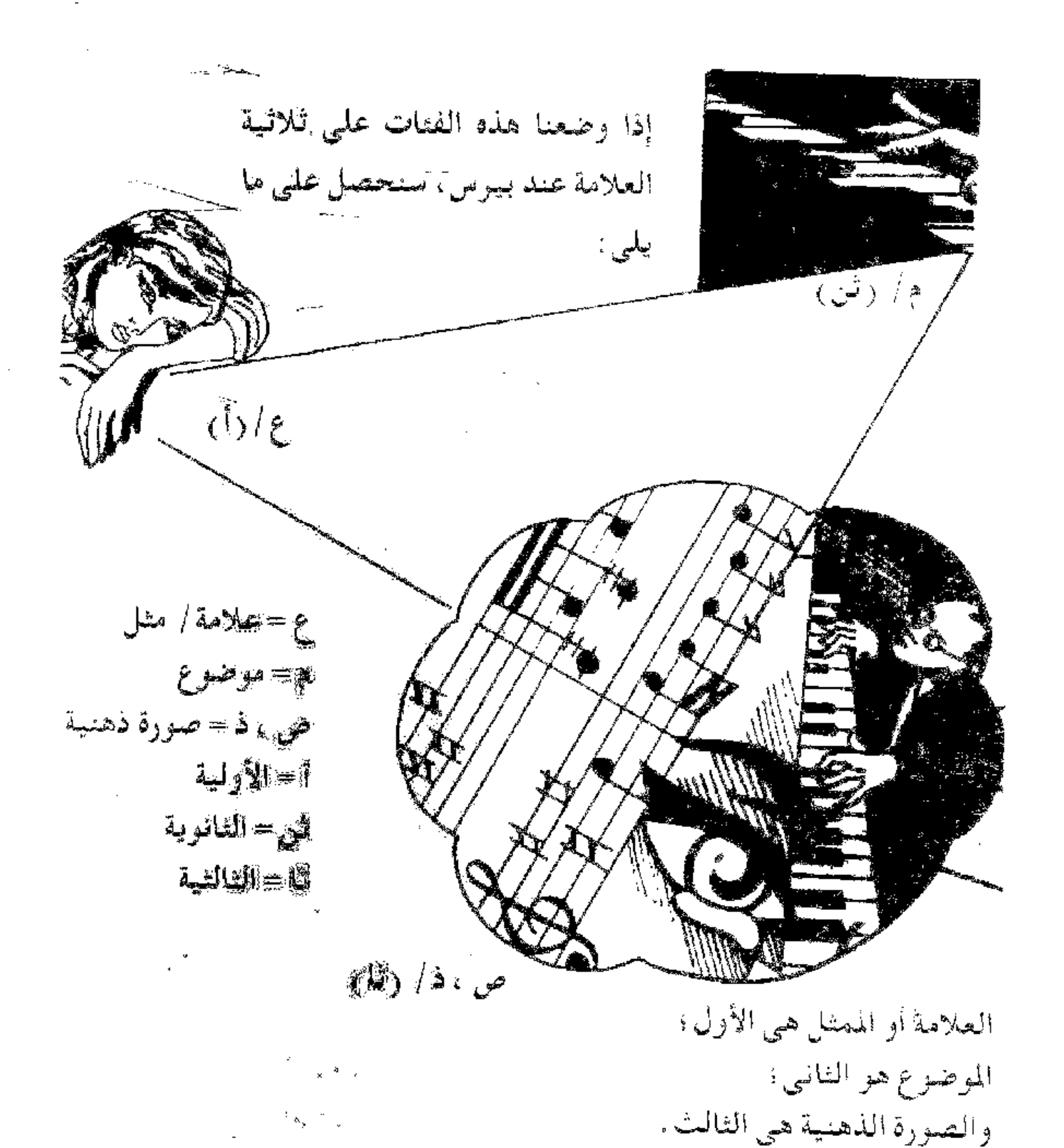
أما الثانوية Secondnes فهى مجال الحقائق الفجة التى تنتج من علاقة ما.

إنها المعنى الذى يتولد عندما نحاول أن نغلق الباب، ونجد أنه لا ينغلق نتيجة لأن هناك شيئًا يعيقه، وبذلك يتم اكتشاف العلاقة، ويتكشف عالم يتكون من أشياء، وتواجدها مع أشياء أخرى.

فوق كل ذلك، يرى بيرس أن الفئة الحاسمة هي الثالثية Thirdness، وهي مجال القوانين العامة.

بينما تصل الثانوية إلى الحقائق الفجة، نجد أن الثالثية عضو ذهني.

يرى بيرس إن الثالث يجعل الأول على علاقة مع الثاني، وإذا ضربنا مثلا بالعطاء، أ يعطي ب إلى ج، وبالتالي فإن ب تجعل أ، و ج على علاقة معا.



العلامة أو الممثل هي الأول؛
الموضوع هو الثاني؛
والصورة الذهنية هي الثالث.

لاحظ أن ذلك لقطة للثلاثية فى إمكانات إنتاجية العلامات غير المحدودة.

والصورة الذهنية تمثل هنا الثاليثة؛ لكن الصورة الذهنية تصير أولاً بالنسبة للثلاثية التالية.

كأول، تقوم العلامة (أو الممثل) أيضًا بدور الثالث، التى تجعل الصورة الذهنية التالية على علاقة بالموضوع، أو تجعل «العلاقات غير الفاعلة فاعلة»، وتؤسس «عادة أو قاعدة عامة بموجبها ستقوم [العلامات] بدورها فى حينه».

إن السبب فى وضع الفئات الثلاث على عناصر الثلاثية (علامة، موضوع، صورة ذهنية) يصير أكثر وضوحًا، إذا أخذنا فى اعتبارنا كيف أن بيرس يحاول أن يصنف أنواع العلامات المختلفة.



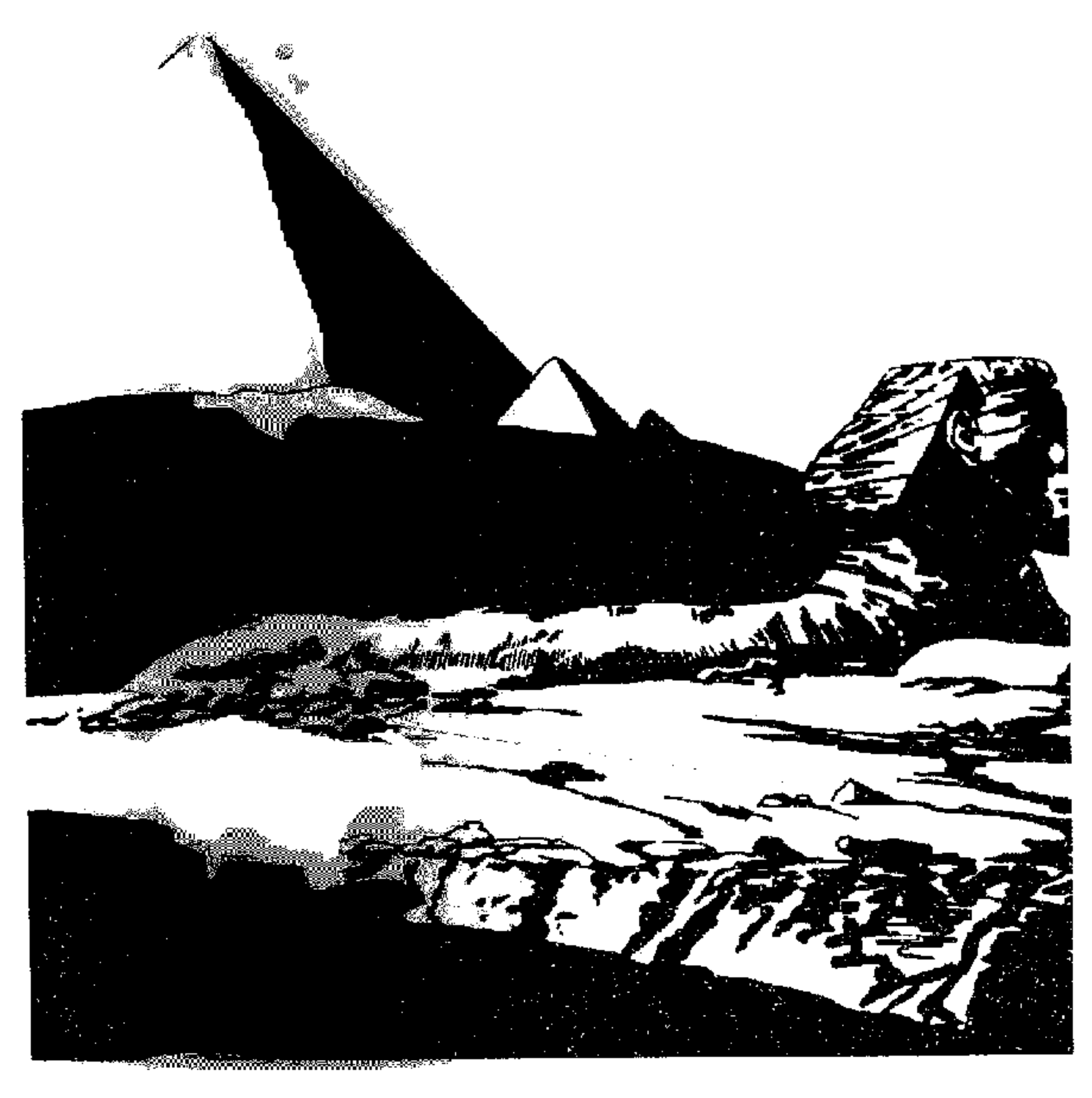
ملحوظة: يبيّن ذلك القاسم المشترك بين بيرس، وسوسير، نظرية علامات بوصفها اقتراب مشفر للموضوع.

في البداية، وضع بيرس ١٠ أنواع علامات، ثم راجعها لينظّر لـ ٦٦ علامة، قبل أن يصل في النهاية إلى الرقم ٥٩٠٤٩ المربك.

من الصعب أن نستكشف كل هذه الأنواع؛ إلا أننا يمكننا أن نبدأ في النظر إلى العملية التي يمكن أن توليد مثل هذه الأنواع من العلامات من خلالها.

إذا كانت العلامة ثلاثية (علامة/ ممثل، موضوع، صورة ذهنية)، سيكون لها ثلاثة جوانب شكلية، وهي الجوانب الأولية، والثانوية، والثالثية على الترتيب.

وهذه الجوانب الشكلية لها بدورها علاقة بفئات الأولية، الثانوية، الثالثية، الوجود أو الظواهر بوجه عام.



يمكننا توضيح التفاعل بين الجوانب الشكلية للعلامات، وجوانب الوجود بالرسم المولد للعلامات.

تتكون الخطوط الأفقية من الفئات (الأولية، الثانوية، الثاليثة) فى علاقتها بكل عنصر من ثلاثية العلامة.

تتكون الخطوط الرأسية من الفئات فى علاقتها بالوجود (الكيفية، الحقائق الفجة، القوانين العامة).

ذلك يولد العلامات كما يلى:

	الكيفية الأولية	الحقائق الفجة الثانوية	القانون الثالثية
العلامة الأولية	العلامة الكيفية	علامة محددة	علامة قانونية
الموضوع الثانوية	الأيقونة	مؤشر	رمز
الصورة الذهنية الثالثية	الشكل	العلامة الحقيقية	حجة


على مستوى العلامة، الممثل (أى، الأول)
العلامة الكيفية Qualisign (ممثل يتكون من كيفية، على سبيل المثال، اللون الأخضر).
علامة محددة Sinsign (ممثل يتكون من واقع مادى موجود؛ على سبيل المثال، إشارة طريق في شارع محدد).
علامة قانونية Legisign (ممثل يتكون من قانون، على سبيل المثال، صوت صفارة الحكم فى مباراة كرة قدم).


على مستوى الموضوع (أى، الثانى)
أيقونة
(حيث تشبه العلامة موضوعها
فى وجه ما، على سبيل المثال،
صورة فوتوغرافية)
أستطيع أن
أكون الثلاثة
مجتمعين.
رمز (حيث ترتبط العلامة
بموضوعها من خلال
العرف فقط، على سبيل
المثال، كلمة علم).
مؤشر (حيث ترتبط العلامة
بموضوعها عن طريق السببية، على
سبيل المثال، دوارة الريح، عرض
طبى).



على مستوى الصورة الذهنية (أى الثالث)
شكل Rheme (حيث تتمثل العلامة للصورة الذهنية كإمكان، على سبيل المثال، مفهوم)
أوه
العلامة الحقيقية Dicent (حيث تتمثل العلامة للصورة الذهنية كحقيقة، على سبيل المثال، عبارة وصفية).
آه
حجة، (حيث تتمثل العلامة للصورة الذهنية كسبب، على سبيل المثال، قضية منطقية).
وجدتها
النقطة الأساسية التى لابد أن نبرزها هنا، أن هذه الأنواع من العلامات المجردة فى الغالب، تمثل مجرد الخطوط العريضة لعلم علامات أوسع، يستثير كل طرق الدمج.

ها هو مثال على مثل هذا الدمج :

يخرج حكم كرة القدم كرتًا أحمر للاعب الذى ارتكب خطأ مهنيًا صارخًا ، وبما أن الكرت الأحمر يستحضر القواعد (الأخطاء المهنية غير قانونية ، وتؤدى إلى عقوبة من يرتكبها) ، فإن ذلك حجة ، كما أنه رمزى (يدل الكرت الأحمر على الخطأ المهنى من خلال العرف) ، وبالتالى علامة قانونية أيضًا (قانون عام) .

لكن الحكام استخدموا الكروت الحمراء من قبل ، ويعرف اللاعبون ذلك جيداً . لذلك ، هذه الحالة من استخدام الكرت الأحمر تقوم بدور الحقيقة الفجة ، وبالتالى كعلامة حقيقية مؤشرة محددة Dicent Indexical Sinsign (بيان سببه فعل الحكم ، وهو بيان لحقائق بروتوكول كرة القدم) .



يمثل عمل بيرس، وسوسير الإطار المرجعي الأساسي لعلم العلامات في القرن العشرين.





العلامات البشرية، والخطاب
الكون الذى تتخلله العلامات
كما أن بيرس، وسوسير لهم أسلاف، فإنهم أفرخوا أيضًا تابعين
كريستيفا بودريار فوكو دريدا ليفي شتراوس بارت
ريتشاردز موريس أوجدين فيش سيبوك
سوسير
بيرس
ايكو
جاكبسون

سوسير وعلم العلامات

يعتبر واحداً من ألمع الانتقادات التي وجهت لسوسير، دليلاً على انتشار تأثيره.

ذكر المنظر السوفيتي ڤالنتيت ڤولوشينوف (١٨٩٥ - ١٩٣٦)، مدرسة سوسير بأنها لعبت دوراً أساسياً في علم اللغة الروسي؛ لكنه ينتقدها بأنها ذات «موضوعية مجردة»، أي أنه يعترض على أن اللغة (التي يستخدمها الجميع، ومع ذلك غير ملموسة)، تكون حيثما يمكننا أن نجد الطبيعة الاجتماعية الحقيقية للتواصل.



ولكن بالنسبة للمفكرين الأوروبيين الذين اتبعوا سوسير، يمثل مفهوم اللغة نقطة تحول كبرى.

شرع عالم اللغة الدانمركي لوى هيلمسليف (١٨٩٩ - ١٩٦٥) فى الاضطلاع بمهمة سوسير الخاصة باختراع «علم يدرس حياة العلامات داخل المجتمع»، واشتملت أول خطوة حيوية فى هذا المشروع على إرقاء اللغة إلى مستوى النظام السيد للعلامات، الذى يحكم كل إنتاج للعلامات يوصف من خلال علم اللغة فقط.

يقترن ذلك بتوسيع فهم سوسير لطريقة عمل العلامات الفردية ؛ فبينما تعمل علامة سوسير (التى تشمل العلاقات الداخلية للدال، والمدلول) فى بُعد تتمثل فيه وظيفتها فى الإحالة أو الدلالة، يقترح هيلمسليف أن العلامة لها بُعدٌ آخر أيضًا.



لا تشتمل العلامة على علاقة بين الجوهر المادى (الدال)، والمفهوم الذهنى المدلول) فحسب، بل وتشتمل كذلك على علاقة بين ذاتها، ونظم العلامات خارج ذاتها.



قدر واضح

إذا أخذنا علامة مثل «قدر واضح»، سيتضح لنا البُعد الذى يصفه هيلمسليف كثيراً.

من السهل نسبيًا علينا أن نحدد الدوال المستخدمة فى هذه العلامة، بالمثل، يمكننا أن نحلل الكلمتين حتى نستخلص المعنى الدلالى المباشر لهما (على سبيل المثال، أن مجرى محدداً مسبقًا للأحداث واضح).



إذا كان القارئ مطلعاً إطلاعاً كافياً على التاريخ، سيدور بخلده عند سماع هاتين الكلمتين، مجموعة كاملة من التداعيات المتعلقة بالتوسع الأمريكي (الحدود، القرن التاسع عشر، الرواد، الأبطال، السكة الحديد، المطالبة بالأرض من الشرق حتى المحيط الهادى، القضاء على الأمريكان الأصليين).

كانت عبارة «القدر الواضح» - وهي عبارة تم صكها عام ١٨٤٥ - عبارة مبتذلة استخدمها الرؤساء الأمريكان المتتابعين في القرن التاسع عشر، للإشارة إلى استعمار القارة، ولتبرير هذا الاستعمار.

إذن، يمكن أن يقال إن العلامة ذات قوة إيحاء، ويمكنها مثل كل العلامات أن تستحضر عمل علامات موجودة.





الإيحاء ظاهرة مألوفة فى الواقع،
واحد من أكثر محللى الإيحاء
موهبة، وجاذبية قدم أشهر
نظراته الثاقبة حول العلامات قبل
أن ينغمس فى علم العلامات.
أتمنى أن أقدم
تفسيراً مفصلاً
للإلغاز الذى يحول
ثقافة البرجوازية
الصغيرة إلى طبيعة
عالمية.
فى الفترة ١٩٥٤ - ١٩٥٦، ظهرت مجموعة
من المقالات فى المجلة الفرنسية الآداب الجديدة
Les Lettres Nouvelles بقلم رولان بارت
(١٩١٥ - ١٩٨٠). وشرع بارت فى كل مقالة
فى كشف «أسطورة الشهر»، وذلك بإيضاح كيف
أن الدلالات فى علامات الثقافة الشعبية تفشى
إيحاءات، تعتبر فى حد ذاتها «أساطير» يول
نظام العلامات الأكبر الذى يكوّن المجتمع.

الكتاب الذى يحتوى على هذه المقالات، إتخذ عنوانًا مناسبًا وهو أساطير (*) ونشر عام ١٩٥٧، ويقدم تأملات فى الاستربتيز [التعرى التدريجى]، وسيارة سترويڤ الجديدة، والمساحيق، والمنظفات، ووجه جريتا جاربو، والبفتيك، والشيبسى ... إلخ.

فى كل مقالة، يأخذ بارت ظاهرة غير مدركة فى الظاهر من الحياة اليومية، ويبدأ فى تفكيكها، موضحًا كيف أن الإيحاءات «الواضحة» التى تحملها فى طياتها تم تكوينها بدقة فى العادة.



(*) قام سيد عبد الخالق بترجمة هذا الكتاب إلى اللغة العربية بعنوان أساطير، القاهرة، هيئة قصورة الثقافة، ١٩٩٥ (المترجم).

وبالرغم من أن كل شخص يعرف أن المصارعة «لعبة»، فإن ذلك، لا يمنع الناس (في الغالب سيدات عجائز) من أن ينفعلن في نوبات معينة.

في مقالة «الرومانيون في السينما»، يظهر بارت ببراعة أكثر أن الوسائل التي يتم من خلالها إنتاج إيحاءات «النمط الروماني» Romannes في فيلم جوزيف مانكيويز بعنوان يوليوس قيصر إيحاءات دقيقة.

بعيداً عن الأشياء الواضحة (العبارة الرومانية القديمة، الصنادل، السيوف، إلخ) لاحظ بارت أن كل الممثلين يرتدون أهداباً قصيرة.



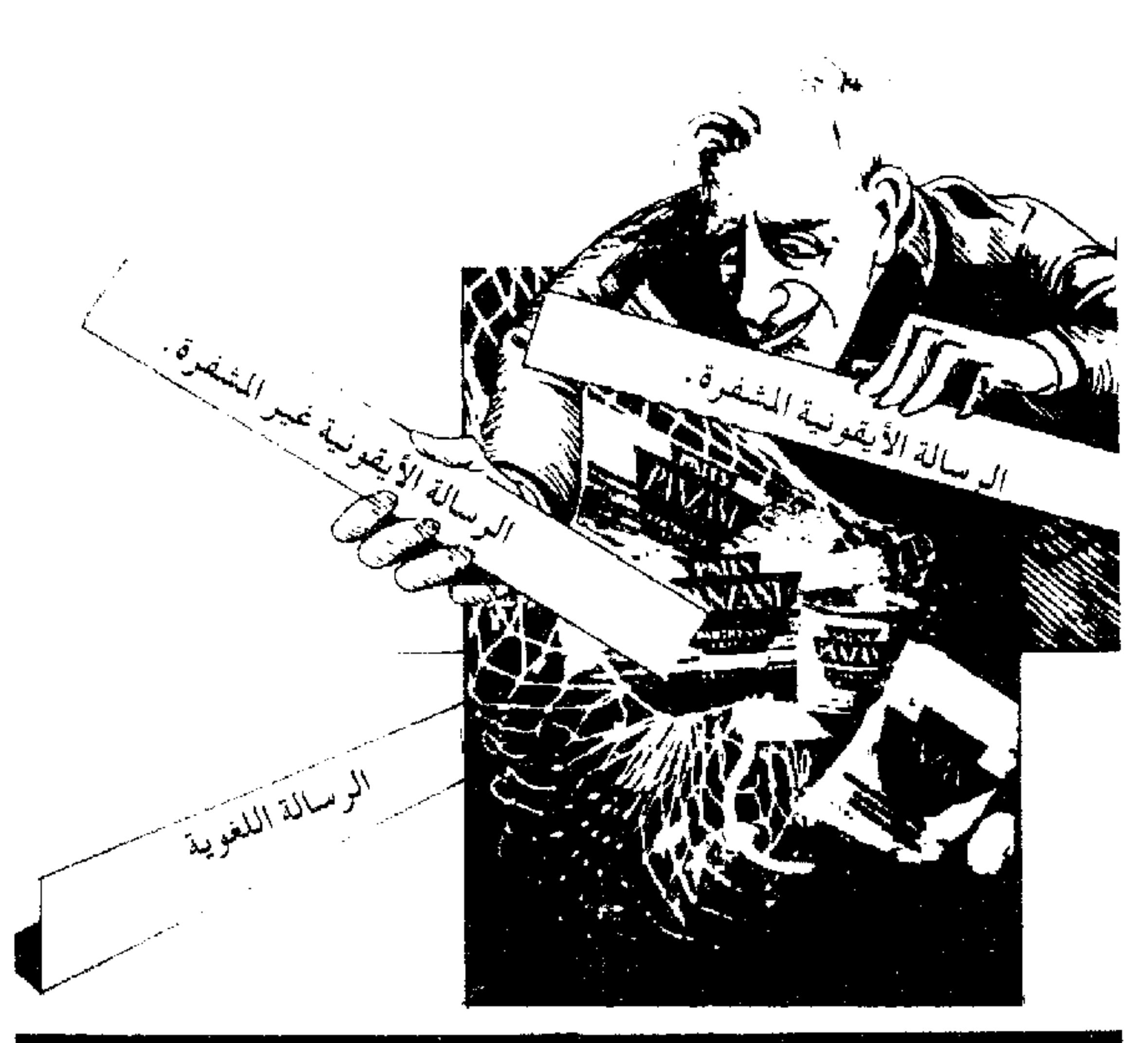
ربما كانت هذه التحليلات العلاماتية التى قام بها بارت، أشهر تحليلات معروفة من نوعها، وهى تمثل أساس المحادثات التى تدور فى ردهات السينما، وبرامج الفنون فى آخر الليل التى أشرنا إليها فى بداية هذا الكتاب.

لكن بارت فعل أكثر من مجرد إضفاء لهجة شبه متخصصة على المنتجات الشعبية، فهو يقرأ الظواهر عن قرب، وفى تفكيكاته يولى عناية فائقة بالتعقيدات التى ترفد تركيبات معينة.



في مقالته التى كتبها عام ١٩٦٤ بعنوان «بلاغة الصورة»، يحلل بارت إعلانًا عن قرصة بانزانى Panzani Pasta، يتكون من صورة فوتغرافية بسيطة لبعض المكونات الأساسية (طماطم، عيش الغراب، فلفل) بعض علب القرصة، وبعض علب الصلصة، متدلية من حقيبة شبكية.

ويفصل الإعلان إلى ثلاث رسائل



الرسالة «اللغوية»: كل الكلمات فى الإعلان.

الرسالة «الأيقونية المشفرة»: الإيحاءات (مشتقة من نظام العلامات الأكبر فى المجتمع) فى الصورة الفوتوغرافية.

الرسالة «الأيقونية غير المشفرة»: الدلالات فى الصورة الفوتغرافية..

الرسالة اللغوية

الشيء الأساسي هنا هو الجرس الموسيقي العذب في كلمة بانزاني Panzani ، وهذا الاسم يدل على اسم المنتج ؛ لكنه عندما يأتي مع علامات لغوية أخرى مثل الإيطالي L'Italienne ، فإنه يوحي أيضًا بالفكرة العامة لـ «النمط الإيطالي» .

الرسالة الأيقونية المشفرة

هي الإيحاءات البصرية المستمدة من ترتيب العناصر المصورة فوتوغرافيًا .

من بين هذه العناصر



- طزاجة (المكونات الطبيعية، وكذلك من خلال التداعى المكونات المعبأة) .
- عودة من السوق .
- مرحلة (حقيبة شبكية = شبكة صيد)
- حياة ساكنة
- النمط الإيطالي (المادة ثلاثية اللون للمكونات الطبيعية، واسم البطاقات الملصقة الإيطالية = العلم الإيطالى .

الرسالة الأيقونية غير المشفرة

يستخدم بارت هذا المصطلح للإشارة إلى الدلالة «الحرفية»؛ إدراك أشياء يمكن التعرف عليها فى الصورة الفوتوغرافية بغض النظر عن الشفرة الاجتماعية الأكبر (أو اللغة).

من ذى الدلالة أن بارت يلتقط هذا الترتيب الخاص لرسائله الثلاث.

يمكن أن تكون الرسالة اللغوية، هى الرسالة التى يبحث عنها مشاهدو الصورة الفوتوغرافية أولاً فى إعلان من هذا النوع.



إن العلاقة بين الرسالتين الأيقونتين أكثر إشكالية، وهما الرسالة الأيقونية «المشفرة» / الإيحائية، والرسالة الأيقونية «غير المشفرة» / الدلالية.

يناقش بارت الرسالة الأيقونية المشفرة / الإيحائية أولاً؛ لأن عملية الإيحاء، في نظره، تكون شديدة «الطبيعية» والتلقائية أثناء الشعور بها، لدرجة أنه من المستحيل فصل الدلالة عن الإيحاء.

أن تحديد الدلالة فقط، يحدث عندما يتم حذف الإيحاء نظريًا من المعادلة.

من الوجهة المنطقية، يدرك القارىء ما تصفه العلامات فعلاً، ثم ينتقل إلى فك شفرة نوع من المعنى الثقافي أو الاجتماعي أو الانفعالي.

ولكن في الواقع، يحدث تحديد ما تصفه العلامات ـ خاصة العلامات البصرية ـ بصورة شديدة السرعة، لدرجة أنه من السهل نسيان أنه حدث من أصله.



دور القارئ من المناطق المهمة الأخرى التي يرتادها بارت في دراسة العلامات؛ بالرغم من أن الإيحاء أحد ملامح العلامة، إلا أنه يتطلب نشاطًا من القارئ حتى يتم.

مستنداً إلى هيلمسليف، رسم بارت خريطته لطريقة عمل العلامات.



تتكون العلامة الدالة (٣) من دال (١) ومدلول (٢)؛ لكن العلامة الدالة هي أيضًا دال موحي (٤).

يعني أنها جوهر مادي فقط، إذا امتلكت العلامة «أسد»، عندئذ سيمكنك أن تدرك إيحاءاتها التي تتمثل في الكبر، الحدة، الشجاعة، إلخ



لابد أن يولد الدال الموحى مدلولاً موحياً (٥) ، حتى ينتج علامة موحية (٦) .

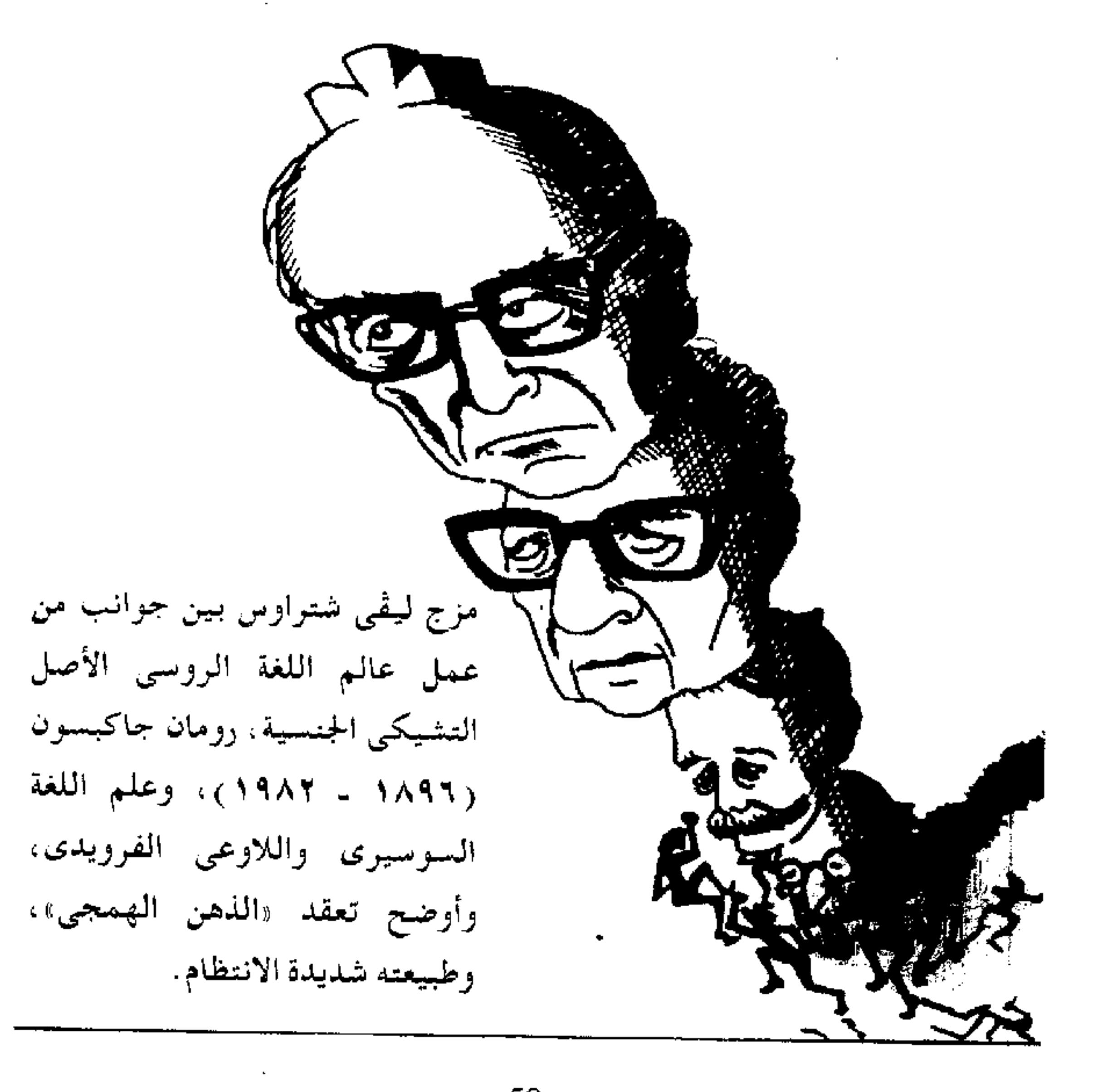
وهنا يصير الأسلوب المنهجي فى تناول العلامات التى تمنى بارت أن يتبعه إشكاليا للغاية .

من جهة ، يتبع هيلمسليف ويتمسك بفكرة النظام الكبير أو الشفرة أو اللغة أو العلامات المجتمعية .



لم يكن بارت الوحيد الذى أعمل فكره فى هذه الإشكاليات، فى خمسينيات وستينيات القرن العشرين، كان بارت يمثل جزءاً من التيار الفكرى المؤثر المعروف باسم البنيوية.

بالاعتماد على دعوة سوسير إلى علم العلامات، تبنت البنيوية علم العلامات، لكن بدا أنها تجاوزت المجال المحدود لطريقة عمل العلامات، فى الواقع، كان عالم الأنثروبولوچيا كلود ليڤى شتراوس (وُلِد عام ١٩٠٨)، أهم بنيوى يرتبط اسمه بالحياة الفكرية الفرنسية.



مزج ليڤى شتراوس بين جوانب من عمل عالم اللغة الروسى الأصل التشيكى الجنسية، رومان جاكبسون (١٨٩٦ - ١٩٨٢)، وعلم اللغة السوسيرى واللاوعى الفرويدى، وأوضح تعقد «الذهن الهمجى»، وطبيعته شديدة الانتظام.


يوضح بحثه الميدانى الضخم عن الطوطمية، والطقوس وأنماط القرابة، وخاصة الأسطورة، أن هناك ارتباطًا بين المنتجات الثقافية، وهذا الارتباط يشبه العلاقات داخل اللغة.
مفهوم البنية، هو حلقة الوصل الكبرى بين أنثروبولوچيا ليڤى شتراوس، ومبادى علم العلامات.
إن خطأ الأنثروبولوجيا التقليدية، مثل خطأ علم اللغة التقليدى، هو الاهتمام بالمصطلحات، لا الاهتمام بالعلاقات بين المصطلحات.
هذه رؤية سوسيرية جدًا. أولاً، تعتبر أى تمظهر للثقافة على أنه جزء من نظام أكبر، ثانيًا والأهم، إنها تهتم بالعناصر المفردة فى الثقافة لا باعتبارها عناصر ذات هويات داخلية؛ بل باعتبارها مهمة فى علاقتها بموقعها فى البنية.



خذ عملة من فئة الجنيه الاسترلينى، هذه العملة يمكن أن

أ - يتم مبادلتها بالخبز، الجعة، الصحف، إلخ.

يمكن أيضًا أن

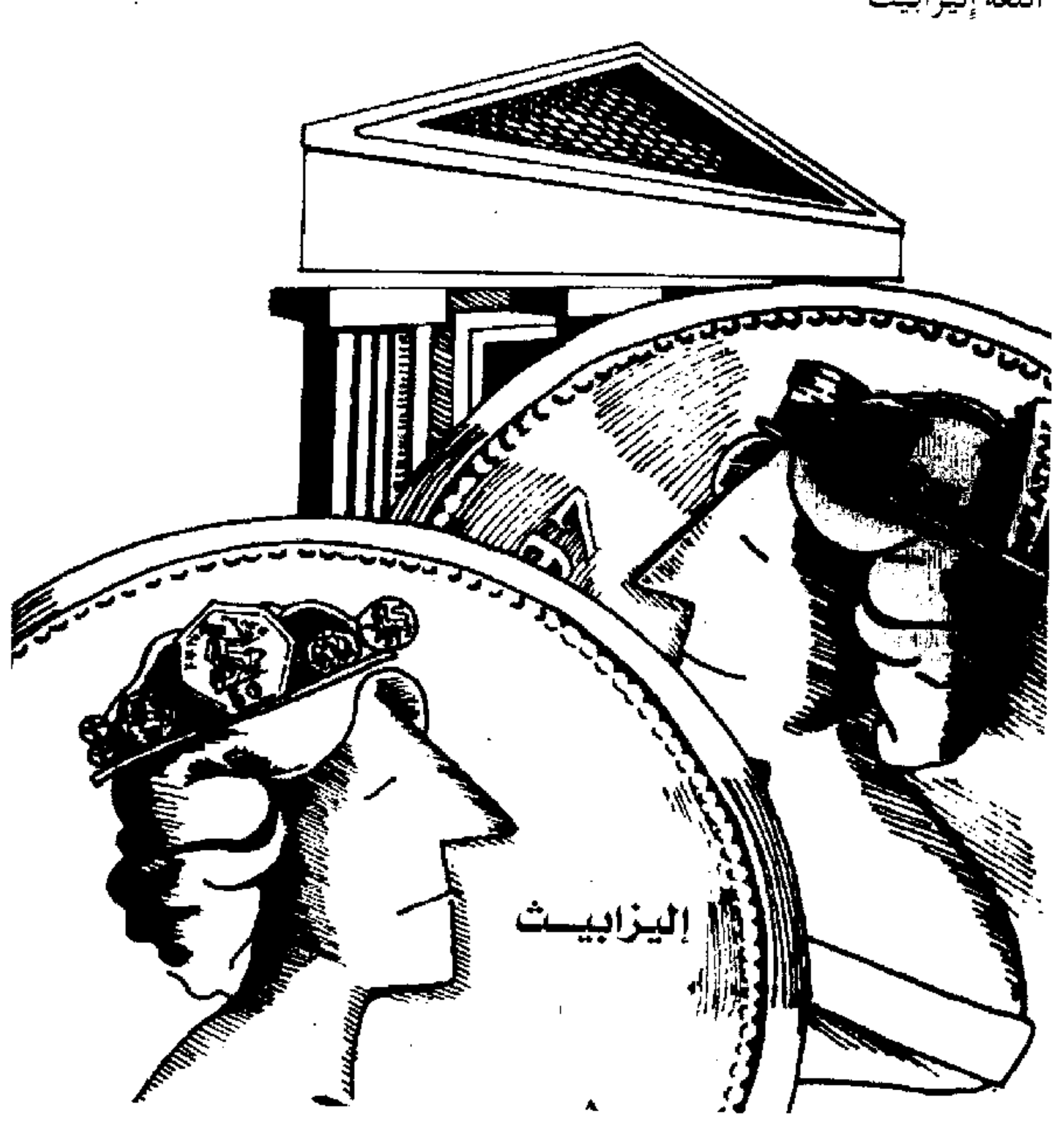
(ب) يتم مقارنتها بورقة نقدية فئة ٥ دولارات.

بالمثل، يمكن مبادلة كلمة بفكرة أو مقارنتها بكلمة أخرى

يسعى سوسير إلى أن يقول: إن العناصر محل الاعتبار ليست لها هويات داخلية. في الواقع، يمكن أن تكون العملة فئة الجنيه الاسترليني مصنوعة من سبائك، تساوى ٣٧ بنس فقط.

ولكن دور العملة فى النظام يجعلها تساوى جنيهاً استرلينى بالنسبة للعملات الأخرى (٢٠ بنس، ٥٠ بنس، ورقة مالية فئة ٥ جنيه استرلينى)، ولسلع أخرى (ما يعادل جنيهاً استرلينى من الخبز، الجعة... إلخ).

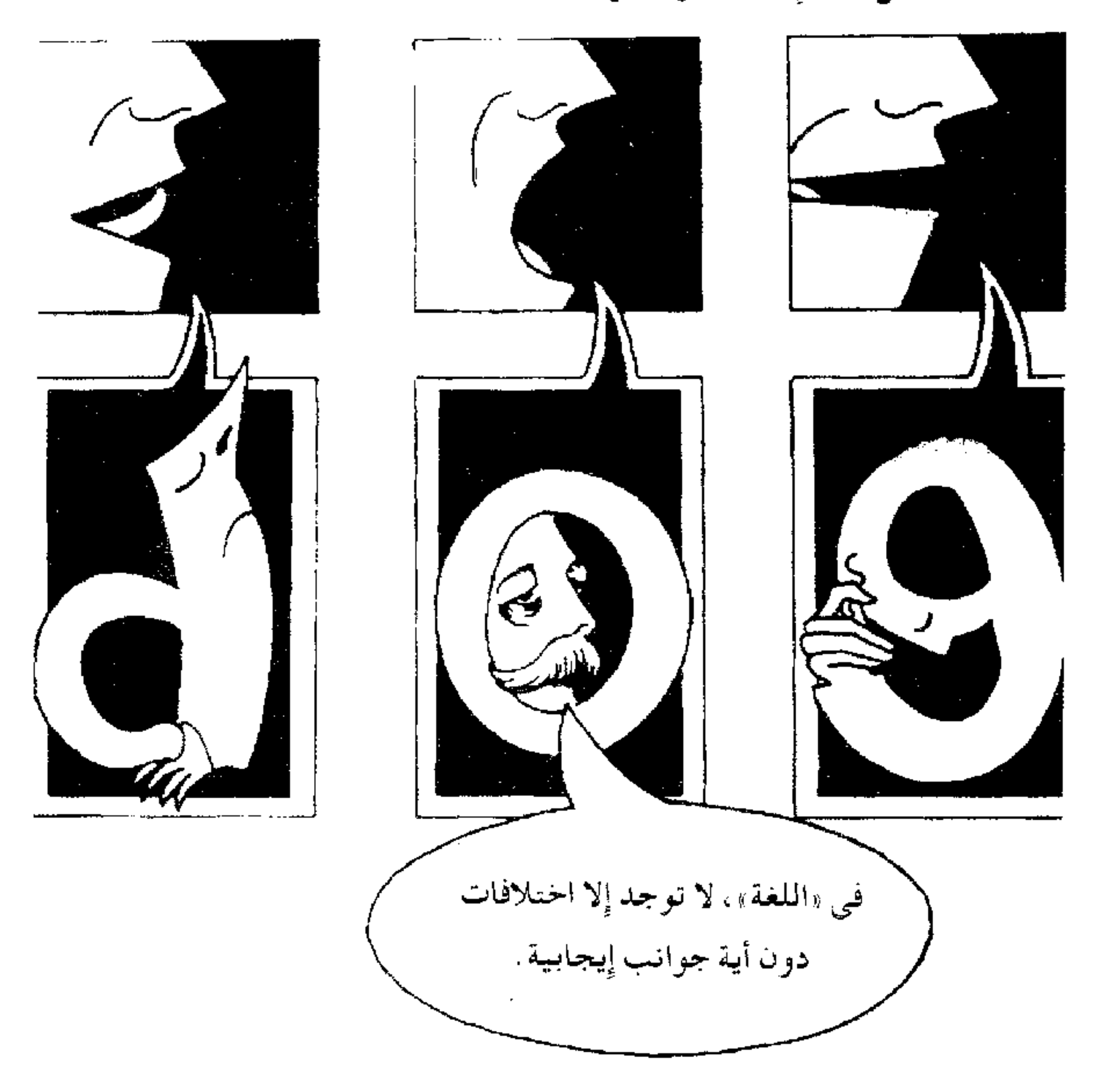
يرى سوسير أن القيمة هى التى تولد نظام الاختلافات الذى نطلق عليه اسم اللغة إليزابيث



فى أدنى مستوى من مستويات اللغة، توجد العديد من الأصوات الأساسية التى يطلق عليها علماء اللغة اسم الفونيمات.

ففى الكلمة dog (كلب)، هناك ثلاثة فونيمات : / ك /، / ل /، / ب /.

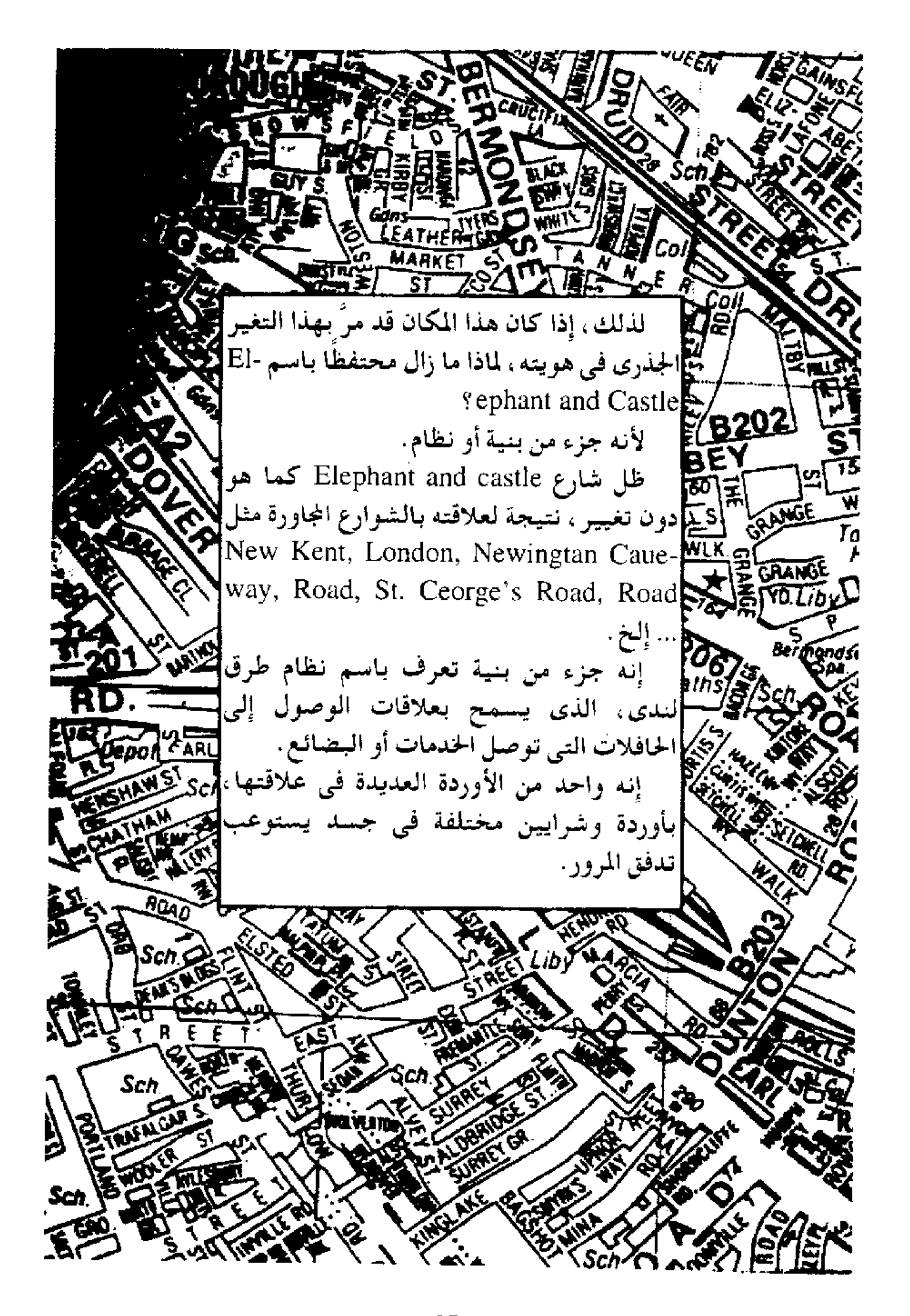
سيجانبنا الصواب إذا قلنا إن الفونيم / له / أكثر أهمية من الفونيم / و /، أو أن أحدهما يحمل قيمة إيجابية، والآخر قيمة سلبية.



عندما يتم رفع هذا المبدأ إلى مستوى الأنظمة الأوسع، مثل تلك الأنظمة التى توجد فى الثقافة، يمكننا أن نتبين مدى أهمية فكرة بنية العلاقات أو الاختلافات.



فلنأخذ مثالاً أوليًا، وننظر إلى شارع من شوارع لندن. على مدى سنوات عديدة، كان شارع El-ephantand Castle نقطة التقاء ستة طرق؛ وكانت مبانيه مرتبة على حسب الطرق الملتقية، ثم فى ستينيات القرن العشرين، تم القضاء على كل شيء لتسهيل اختناق المرور، وتم بناء نقطة إلتقاء جديدة فوق خطوط المبانى القديمة. وأصبحت نقطة الالتقاء الجديدة ،النقطة الأساسية فى شارع Elephant and castle.



لذلك، إذا كان هذا المكان قد مرَّ بهذا التغير الجذرى فى هويته، لماذا ما زال محتفظًا باسم El-ephant and Castle؟

لأنه جزء من بنية أو نظام.

ظل شارع Elephant and castle كما هو دون تغيير، نتيجة لعلاقته بالشوارع المجاورة مثل New Kent, London, Newingtan Caue-way, Road, St. Ceorge's Road, Road ... إلخ.

إنه جزء من بنية تعرف باسم نظام طرق لندى، الذى يسمح بعلاقات الوصول إلى الحافلات التى توصل الخدمات أو البضائع.

إنه واحد من الأوردة العديدة فى علاقتها بأوردة وشرايين مختلفة فى جسد يستوعب تدفق المرور.

هذا التقييم البنيوى لشارع من شوارع لندن يشبه ما قام به ليفى شتراوس والآخرين. الذين ينضمون تحت لواء علم العلامات فى خمسينيات، وستينيات القرن العشرين.

يرى ليفى شتراوس أن الظواهر الأنثروبولوچية مثل أنظمة القرابة يمكن أن تتم دراستها على أنها ذات معنى فى علاقاتها البنيوية، إن التحريمات المفروضة على الزواج التى توجد فى بعض المجتمعات - وأوضحها تحريم الزنى بالمحارم - ليست نتيجة لقوانين بيولوچية بسيطة محددة مسبقًا، بل هى تمثل نظامًا منتجًا للدلالة أو نظامًا ثقافيًا.



يرى ليفى شتراوس إنه فى بعض المجتمعات تتقيد قوانين الزواج بنظام ذى معنى من التبادل، والإمكان، والاختلاف، وهذا النظام ليس مغايراً للقواعد المعمول بها فى اللغة.



تسرى قواعد مشابهة فى أساطير أى مجتمع من المجتمعات، البنية هى نموذج عمليات تسمح بإحداث تحولات تالية للأساطير، مع أنه ما زال يلتزم بالقواعد الأساسية للبنية.

ترتبط الأسطورة بالقصة ذاتها مرة تلو أخرى، مع تحول طفيف للعناصر التى تكون القصة، فلنضرب مثلاً بأسطورة عائلة أوديب.

كادموس - جد أوديب، ومؤسس مدينة طيبة - قتل تنينا، وقام كادموس بغرس نابه فى الأرض، ومن هذا الناب انبثق محاربو إسبرطة، الذين سرعان ما بدأوا يقتلون بعضهم بعضا، وصار المتبقون الخمسة جدود أهل طيبة.

فيما بعد، نجد أوديب يقتل وحشا أرضيًا، وهو أبا الهول الذى يطرح لغزًا، ويكافأ أوديب على ذلك بتولى عرش طيبة - الذى ظل شاغرًا منذ موت الملك لايوس منذ فترة قريبة - ويتزوج الملكة جوكاستا الأرملة. فى الواقع، قام أوديب دون أن يدرى بقتل أبيه، الملك لايوس، وتزوج أمه، ويحل الطاعون على طيبة، عقابًا على هاتين الجريمتين المجهولتين.

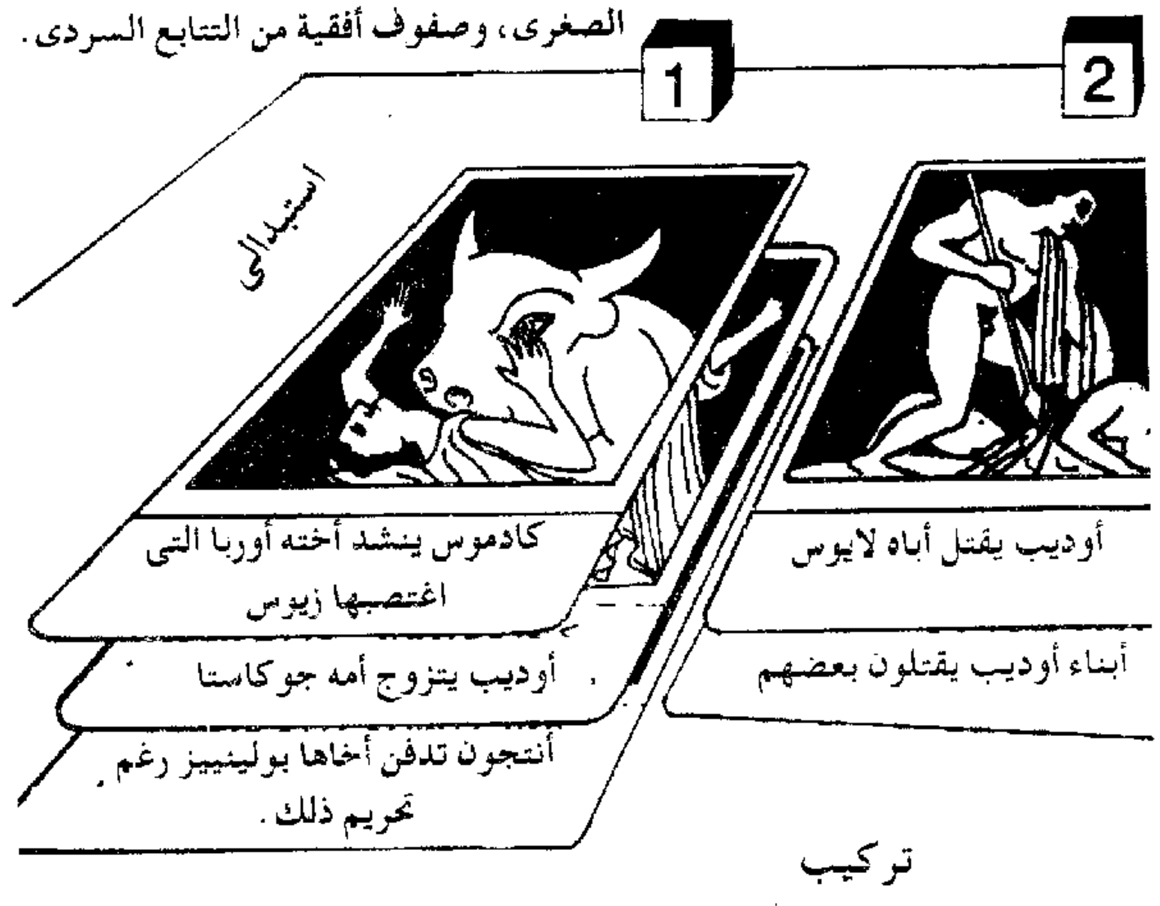
بعد نفى أوديب، يقوم ابناه - إتيوكليز وبولينايسيز - بقتل أحدهما الآخر فى الصراع على العرش، ويصدر مجلس شيوخ طيبة مرسومًا بأن تترك جثة بولينايسيز دون أن تدفن، إلا أن أخته أنتيجون تخالف هذا المرسوم وتقوم بمراسم دفنه، وتعاقب على ذلك بأن تدفن حية.

من المثير أيضا، أن اسم جد أوديب لابداكوس يعنى الأعرج، وأن اسم أبيه لايوس يعنى «الأشول»، وأن كلمة أوديب ذاتها تعنى «متورم القدم» - وكل هذه الأسماء توحى بـ «عدم السير بطريقة مستقيمة».

البنية والوحدة الأسطورية الصغرى

أسس ليفى شتراوس بنية الأساطير - مثل أسطورة أوديب - من خلال تفتيتها إلى أصغر مكونات ممكنة، وأطلق عليها الوحدات الأسطورية الصغرى mythemes ، (وهى لا تختلف عن الوحدات الصوتية الصغرى، أو الفونيمات) تعتبر الوحدات الأسطورية الصغرى «حزمًا من العلاقات». يتجاهل ليفى شتراوس الحكاية، حيث يتلو الحدث الحدث، ويعيد ترتيب الأساطير حتى يتم وضع أنواع العلاقات - الوحدات الأسطورية الصغرى - فى مجموعات مرتبطة ببعضها البعض، على سبيل المثال، حزمة «كادموس قتل التنين»، تنتمى لنفس المجموعة التى تنتمى إليها «أوديب قتل أبا الهول».

فى التحليل التالى، نجد أسطورة أوديب مرتبة فى عمدان من الوحدات الأسطورية الصغرى، وصفوف أفقية من التتابع السردى.



يقدم ذلك بفعالية محوراً تركيبياً (تتابعًا سرديًا أفقيًا)، ومحوراً استبداليًا (حزمًا من العلاقات، رأسيًا).

لا يهدف ليفي شتراوس من إعادة الكتابة هذه إلى الوصول إلى المعنى النهائي للأسطورة؛ بل يتمنى أن يظهر شروط إنتاج وتحول الأسطورة.

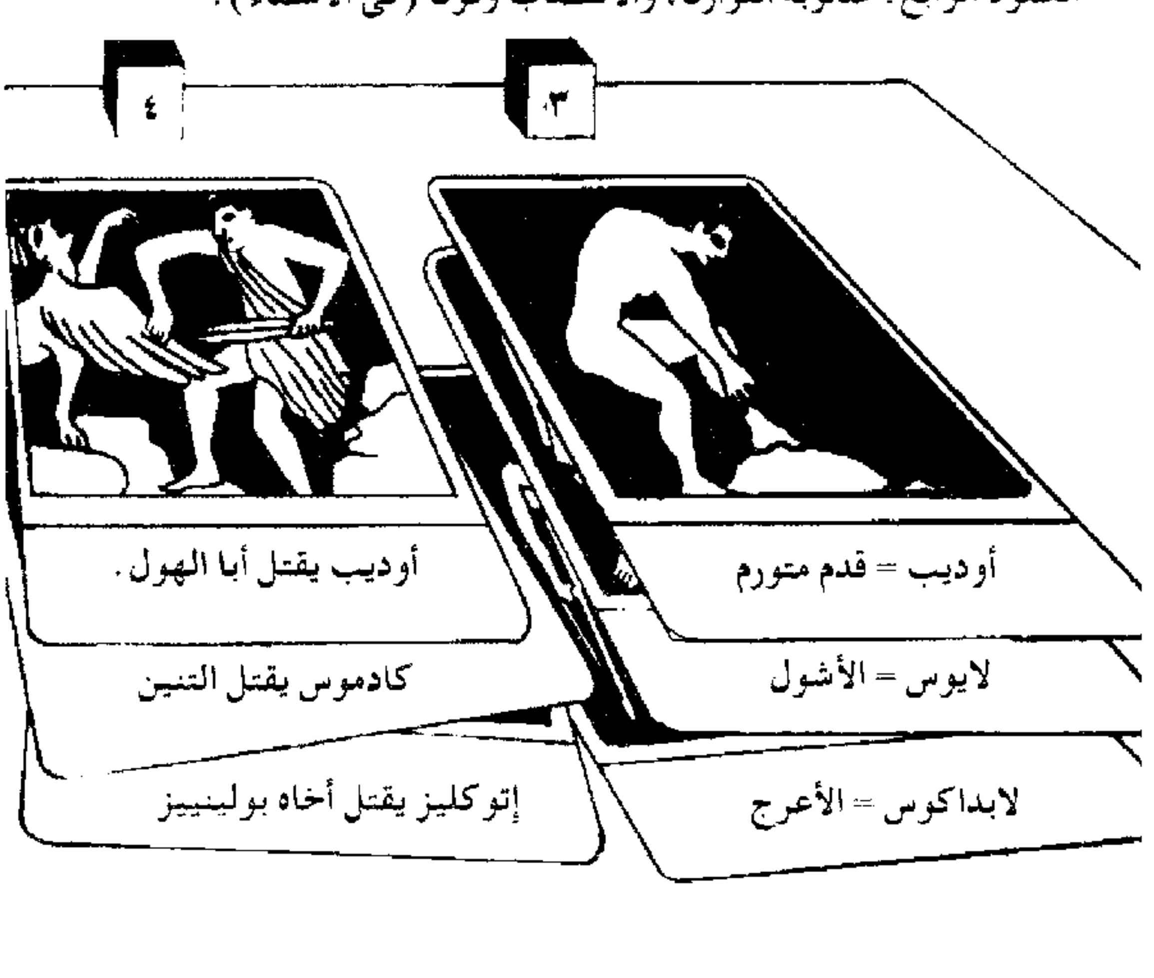
فيما يلي شبكة العلاقات:

العمود الأول: الإعلاء من قيمة علاقات الدم.

العمود الثاني: التهوين من قيمة علاقات الدم (أي، عكس العمود الأول).

العمود الثالث: قتل الوحوش.

العمود الرابع: صعوبة التوازن، والانتصاب وقوفًا (في الأسماء).





بعد الإعلاء من قيمة الدم والتهوين من قيمة الدم، يتم ذبح الوحش ـ مخلوق أرض / دم . اختلال التوازن، وعدم القدرة على الانتصاب، وقوفا في أسماء الأبطال الذكور إشارة إلى ميلاد البشر (الذين لا يستطيعون أن ينتصبوا وقوفا، إلا إذا حققوا التوازن والقوة).

لكن في أساطير أخرى عديدة، الإنسان الذى لا يستطيع أن يقف منتصبا يولد من الأرض.

لذلك تمثل الأعمدة الأربع شروط السؤال ـ كذلك المواقف المتناقضة التى يفترضها السؤال ـ عن الأصول البشرية.

بمعنى أن العلاقات العلاماتية بين عناصر أسطورة أوديب، تبرز رسالة ما عن طبيعة الأسطورة بوجه عام، خاصة فيما يتعلق بالأصول البشرية.



بالنسبة للمثقفين الأوربيين، وشنت ملاحظات ليڤي شتراوس الجريئة عما يطلق عليه المجتمعات البدائية بعداً كاملاً جديداً لفهم الثقافات بوجه عام.

إن إسهاماته في الأسطورة، ساهمت في إسهامات الدراسات البنيوية للظواهر النصية التي كونت مدرسة باريس في الستينيات.

في مجال تحليل البنى السردية، سبق عمل ليڤي شتراوس عمل الجيرداس جوليان جريماس «(١٩١٧ - ١٩٩٢)، وكلود بريمون (ولد عام ١٩٢٩)، وتداخل مع هذا العمل.

في نفس الفترة، نشرت الدورية الباريسية Communications، التي تعنى بالصورة بوجه عام قدراً كبيراً من العمل البنيوى المؤثر بما فيه عمل رولان بارت عن التصوير الفوتوغرافي، وعمل شرستيان ميتس (١٩٣١ - ١٩٩٣) عن السينما، وعمل تزفيتان تودوروف (ولد عام ١٩٣٩) عن فن الشعر.

البنيوية

في الواقع، البنيوية، كمرادف للتحليل العلاماتي، صارت رائجة جداً. في عام ١٩٦٧، نشرت الدورية الأدبية الفرنسية Quinzaine Littéraire صورة كاريكاتيرية أُعيد إنتاجها مرات عديدة، وتصف زعماء البنيوية يرتدون تنورة من العشب وسط خضرة كثيفة.

كان ميشيل فوكو الشاب مبتهجاً وهو يحاضر لجمهوره! المحلل النفسي چان لكآن (١٩٠١ - ١٩٨١) الجالس جلسة القرفصاء وطاوياً ذراعيه، وليڤي شتراوس (الذى تبدو على وجهه إمارات تأمل، ولكنه مسترخي الجسم).

يتفق معظم المعلقين أن البيئة «البدائية» تبرز غلبة ليڤي شتراوس وميله الأنثروبولوچى، والأهم من ذلك، هو الطريقة التى تتكهن من خلالها الصورة الكاريكاتيرية بما وراء النصية التى بشرت بها الموجة الجديدة من التفكير ذى التوجه العلاماتى.



ما بعد البنيوية

لا يمكننا أن نحدد زمان مشروع علم العلامات ما بعد البنيوى على وجه الدقة.

علاوة على أن المصطلح «ما بعد البنيوية» ذاته نادراً ما يستخدم فى فرنسا، وهى منبته المزعوم.

ومع ذلك، يتفق معظم المعلقين على أن أصول ما بعد البنيوية واضحة جداً فى السنوات التى سبقت ثورة الطلبة فى مايو ١٩٦٨ مباشرة.

ربما كانت إحدى اللحظات التكوينية الأساسية آنذاك تتمثل فى نشر كتاب چاك لكان مكتوبات، والنشر الفائق للعادة لثلاث كتب فى سنة واحدة (١٩٦٧) للفيلسوف الفرنسى الذى وُلد فى الجزائر چان دريدا (وُلد عام ١٩٣٠).

من بين هذه الكتب الثلاثة كتابه الكتابة، والاختلاف وهو عبارة عن مجموعة من المقالات، ويمثل بوضوح ثورة ضد ليڤى شتراوس والبنيوية، كما يمثل أيضاً الطلقة الأولى فى مدفعية دريدا الموجهة نحو الفلسفة الغربية بوجه عام.

يدخل فى صميم النقد ما بعد البنيوى، الاهتمام بدور الذات البشرية فى إنتاج الدلالة.

نظر علم العلامات البنيوى فى الأساس إلى الذات Sub-ject على أنها «حاملة» البنيات. ودون أن يكون الإنسان موضع الفاعلية، ثم فهمه على أنه تهيمن عليه معايير القرابة، أو العمليات السردية، أو الأساطير، أو علاقات النوع، أو أية بنية محل الاعتبار.

وبهذا المعنى، كان علم العلامات البنيوى «لا إنسانياً» فى توجهه، وفى الغالب يصل فى ذلك إلى درجة الكتابة.

إذا قرأنا أعمال الفيلسوف الماركسى لوى ألتوسير (١٩١٨ - ١٩٩٠)، والأعمال الأولى لميشيل فوكو، وكلاهما له علاقة غير مباشرة بالبنيوية فى ذلك الوقت - سنخرج بفكرة أن مستقبل البشرية مخيف حقاً.


أثار شهر مايو ١٩٦٨ الرصيد المشترك لعلم العلامات ما بعد البنيوى بنجاح.
إن وضع زعماء البنيوية فى مؤسسة جراند إيكول Grande Écoles ، كان يعنى أنهم يمكن أن يمثلوا الصرامة فى التعليم التى ثار عليها العديد من الطلاب.
ولكن الأهم من ذلك، أن الفاعلية، والتدخلية من قبل الطلاب، والعمال المصريين التى كادت أن تدخل بفرنسا فى ثورة عارمة، كانت على خلاف جذرى مع «اللاإنسانية» التقيدية للتعاليم البنيوية.
من الواضح، أنه كانت هناك حاجة إلى فهم الذاتية علي أنها أكبر من مجرد منتج الهيمنة الكاملة للنظام وأقل من الفاعلية الخالصة.
كلية الآداب
ومع ذلك فشلت الثورة
مايــو
٦٨

إن مفهوم اللغة عند سوسير، جعل مستخدم اللغة مجرد وصلة فى تيار الاختلافات بين العلامات.

من الوجهة المنطقية، بدا أن مخزن أو دولاب الاختلافات ظل مفتوحًا طوال الوقت أمام الذات، أم مستخدم اللغة، حتى ينهل منه، ويجمع أجزاء كلامه.



بدلاً من ذلك، نظر إلى العلامة باعتبارها رمزاً اصطلاحيًا اعتباطيًا للإشارة إلى المفاهيم الذهنية التى يأويها المستخدم المحتمل للعلامات بالفعل.

وهكذا، اعتمدت علاقة الإنسان بالنظام بوجه عام على ملاءمة «وظيفية».

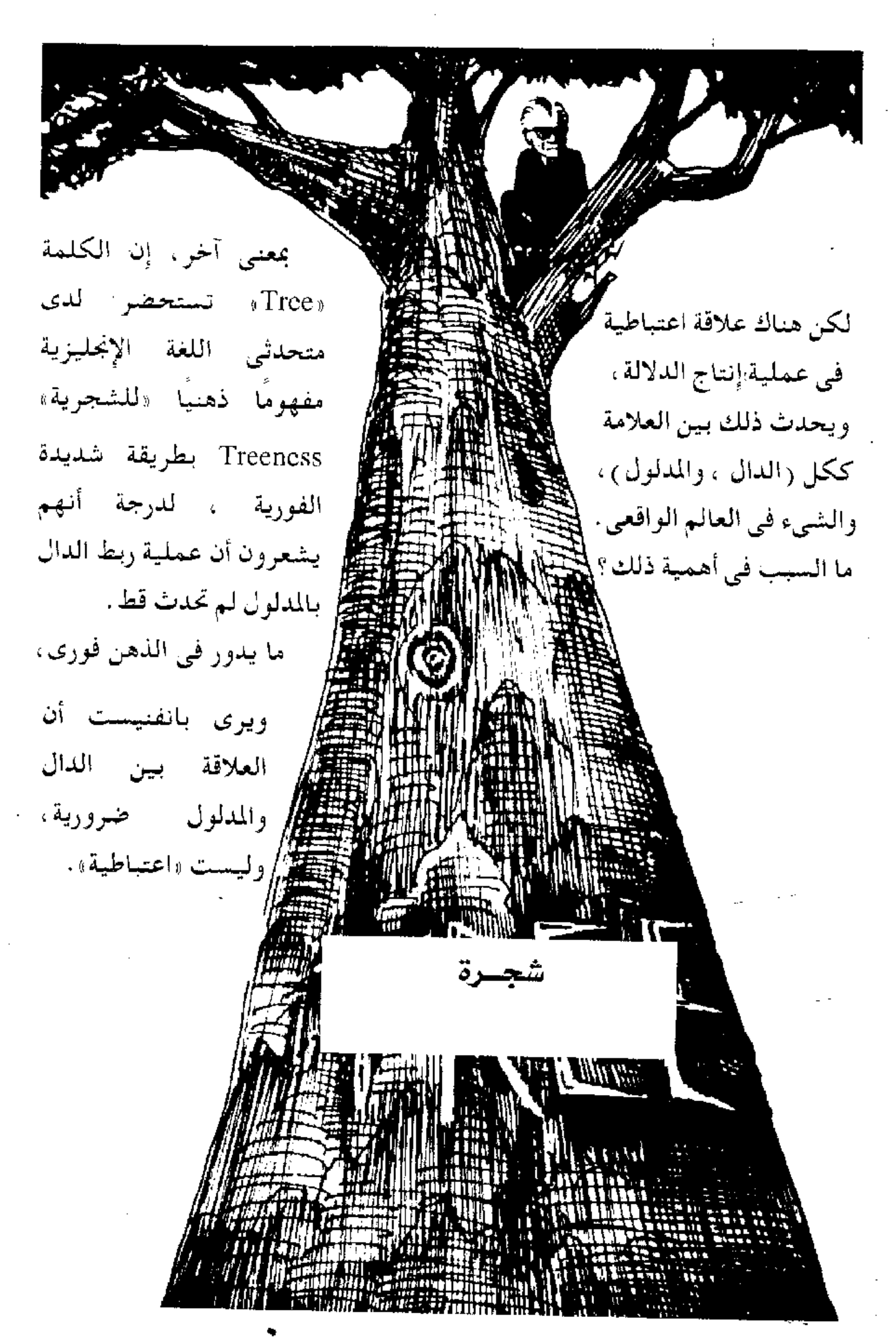
لكن طريقة فهم ما بعد البنيوية لمستخدمى اللغة مختلفة جداً.

فى عام ١٩٣٩، عبر عالم اللغة الفرنسى البارز «إميلى بانفنيست» (١٩٠٢ - ١٩٧٦) عن شكوكه فى «اعتباطية» العلاقات فى العلامة عند سوسير.

وستصير تعليقاته ذات أهمية كبيرة فى التنظير للذوات العلاماتية.



العلاقة بين الدال (الرمز الإصطلاحى المادى)، والمدلول (المفهوم الذهنى الذى يولده الدال)، علاقة يكتسبها مستخدمو اللغة فى مرحلة عمرية مبكرة جداً، لدرجة أنهم لا يشعرون بأى انفصال بين الاثنين مطلقًا.


بمعنى آخر، إن الكلمة «Tree» تستحضر لدى متحدثى اللغة الإنجليزية مفهومًا ذهنيًا «للشجرية» Treeness بطريقة شديدة الفورية ، لدرجة أنهم يشعرون أن عملية ربط الدال بالمدلول لم تحدث قط.
ما يدور فى الذهن فورى،
ويرى بانفنيست أن العلاقة بين الدال والمدلول ضرورية، وليست «اعتباطية».
لكن هناك علاقة اعتباطية فى عملية إنتاج الدلالة، ويحدث ذلك بين العلامة ككل (الدال ، والمدلول)، والشيء فى العالم الواقعى. ما السبب فى أهمية ذلك؟
شجـرة

فلنضرب مثلاً: المجتمع اللغوى ككل يستخدم كلمة «أنا»، ويستخدمها الأفراد للإشارة إلى أنفسهم بدلاً من استخدام اسم علم (مثل زيد أو عمرو).

لذلك يرى سوسير أن كلمة «أنا» علامة تشتمل على علاقة اعتباطية بين الدال والمدلول.



لكن كلمة «أنا» لا تمتلك مثل هذا المفهوم الثابت أو المدلول. على العكس، تعنى «أنا» شيئًا مختلفًا فى كل مرة تستخدم فى منطوق ما، فهى تشير إلى الشخص الذى يستخدم المقولة «أنا».

ولكن الأهم من ذلك، أنه بالرغم من أن استخدام كلمة «أنا» عبارة عن اشتراك فى نظام اللغة، فإنها لا تبدو كذلك.

يرى بلنفنيست أن «أنا» علامة علاقاتها الداخلية ضرورية.



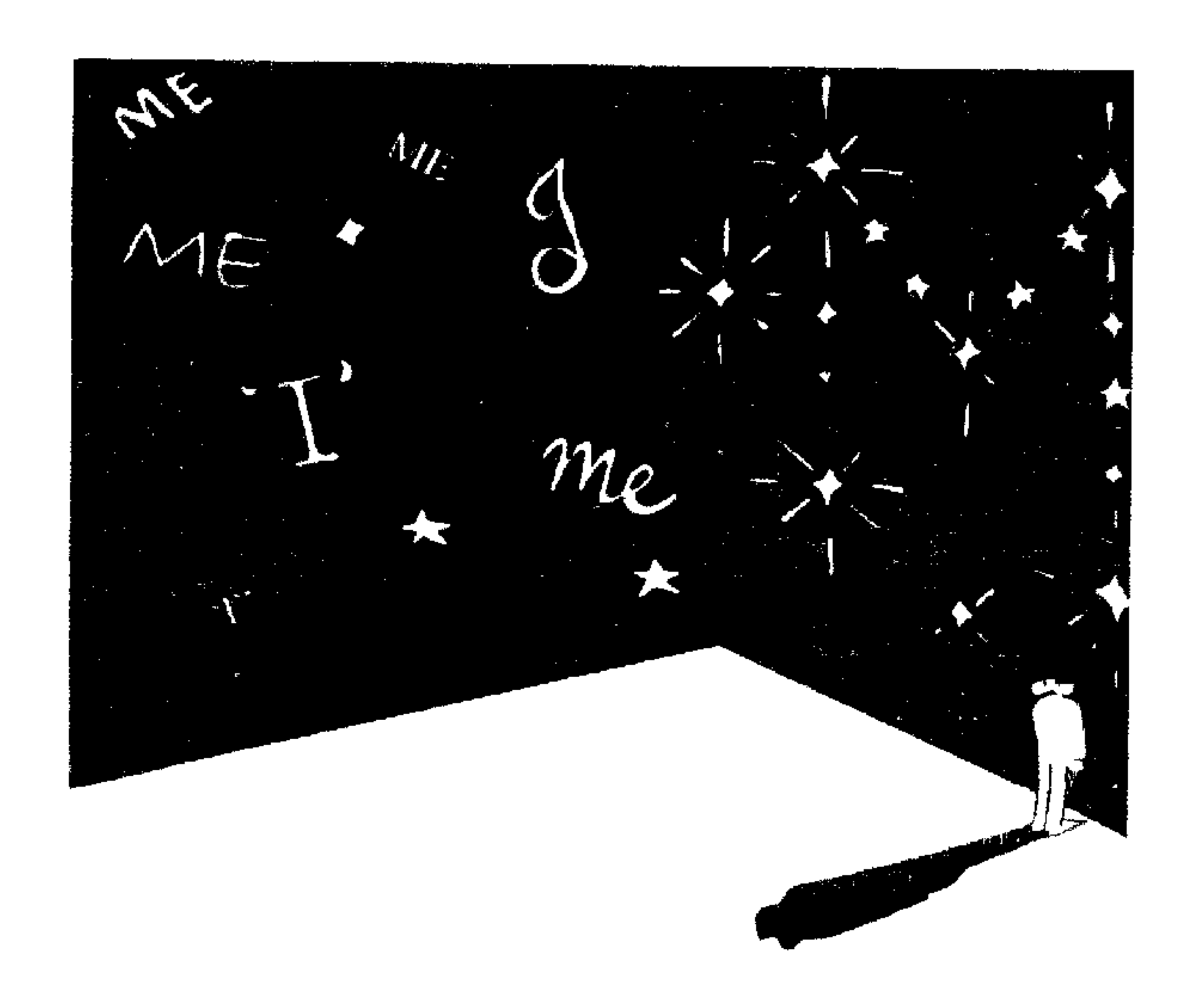
لكنه ليس كذلك.

«أنا» هى مجرد فئة لغوية؛ إنها لا تشبهنى، إنها لا تسير كما أسير أنا؛ ولا تسجل مدى عطشى. باختصار، لا يمكنها أن تغطى امتلائى.

يمكن أن يكون هناك مثال على الكلام الذى أنطق به، مثل «أنا أحب الموز».

ولكن كلمة «أنا» فى هذه الحالة من الكلام التى تحب الموز ليست نفس مَنْ ينطق الكلام، (الذى يحب كذلك التفاح، والبرتقال، والعنب، وفى الواقع لا يحب الموز حقًا، وإنما كان يقول ذلك: أن هى / هو يحب الموز).





لذلك فإن العلاقة بين الذات، ونظام إنتاج الدلالة علاقة معقدة.

عند استخدام العلامات اللغوية، تكون العلاقة بين الدال والمدلول راسخة جداً (ضرورية، مثل الطبيعة الثانية)، لدرجة أن مستخدم اللغة يبدو له أنه شديد القرب من اللغة.

لكن فى الواقع، يعتبر النظام اللغوى خارج الذات البشرية، فمستخدم اللغة منفصل انفصالاً جذريًا عن نظام العلامات، وما يستطيع مستخدم اللغة أن يعبر عنه من خلال النظام أقل مما يشعر به فعلاً بكثير.

على سبيل المثال، تستطيع الذات أن تعبر عن أنها تحب الموز، ومن الوجهة المنطقية، يمكن أن يتناسب ذلك مع كل النزوعات التى يمكن لها أن تعبرها عن نفسها.

ME

لكن هناك أشياء لا يمكن للذات البشرية أن تعبر عنها: على سبيل المثال، كره لاشعورى للموز.

يرى چاك لكآن أن هذا عامل حاسم فى توضيح كيف أن الذات البشرية منفصلة عن وسائل تمثيلها، وتتكون - كذات - من خلال وسائل التمثيل هذه فى آن واحد.

يأخذ لكآن شكل أو منوال سوسير للدال والمدلول، ويوضح كيف أنه يفترض علاقة بشرية بالعلامة.

مدلول

دال

للمفهوم (المدلول) أولوية، ويقف على قمة المنوال؛ أما الجوهر (الدال) فهو ثانوى، ويقع فى القاع. توحى الأسهم بعدم القابلية للانفصال بين الاثنين، الأمر الذى يجعل الدال يثير المدلول، والمدلول يتطلب الدال.

العلاقة البشرية المضمرة فى هذا التأويل للعلامة، علاقة تفترض أن المدلول «الخالص» يوجد داخل ذهن مستخدم اللغة.

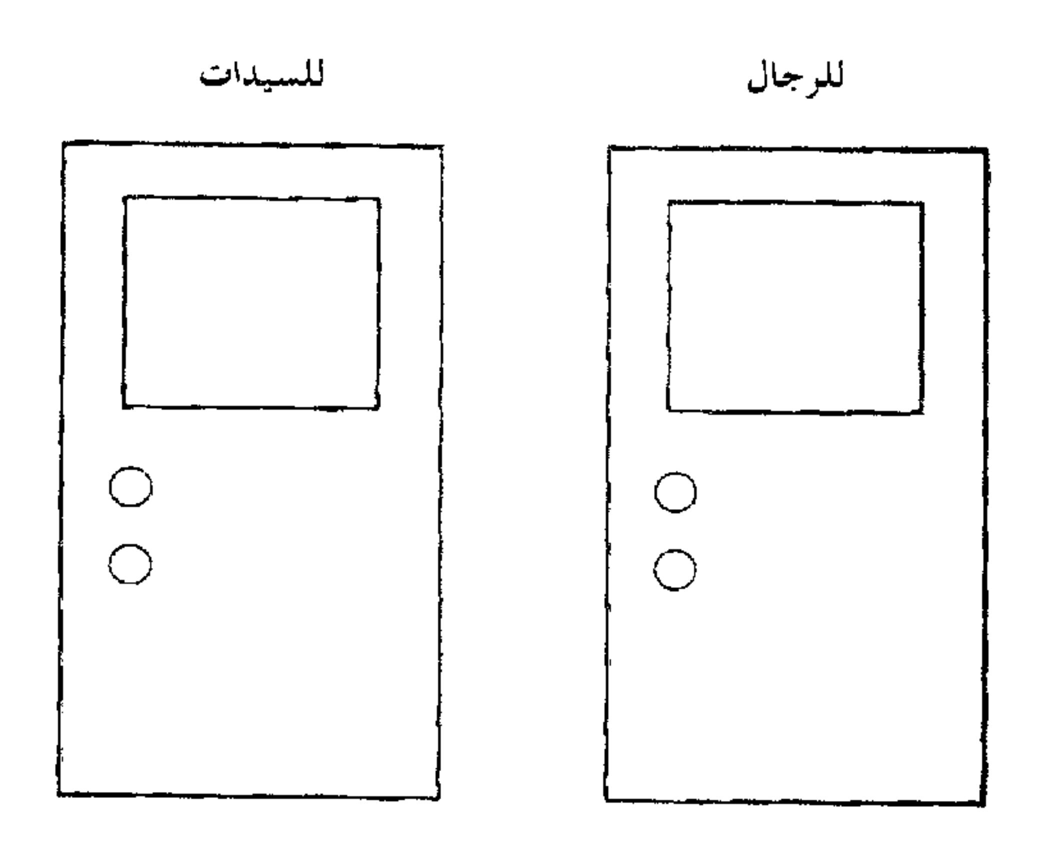
هذا المدلول عبارة عن فكرة لا يقيدها التأمل بالمرة، كما يبدو منطقيًا على نحو مغرٍ لدرجة أن الطفل، على سبيل المثال، يكتسب مفهوم ماهية القطة (تقول مياو) تأكل السمك، تخربش... إلخ)، ويقال له فيما بعد إن هذا الكائن يدعى «قطة».



ينطلق لكآن من خريطة سوسير للعلامة، ويعكسها.

فبدلاً من المدلول الخالص، يقدم لكان مفهومًا ذهنيًا عبارة عن نتيجة للتأمل الموجود بالفعل.

ستتضح هذه الفكرة أكثر إذا ضربنا مثالاً، يختار لكان بابى الحمامات العامة التى تبدو كما يلى:



البابان بهذه الصورة يبدوان مثل شكلين للعلامة كما يتصورها سوسير.

ويكشف التمحيص الدقيق أن البابين متطابقان، وأن الرمز الاصطلاحى المقترن بكل منهما يظهر أعلى الشكل.

إذا دققنا النظر أكثر فسنجد أن الاختلاف بين البابين (اللذين يبدوان متطابقين) لا ينتج من أى شيء داخلى، بل من الدالين المختلفين اللذين يظهران أعلاهما.

أى فرد يقف أمام هذين البابين، سيستمد من الدالين أعلاهما تصورًا محددًا تمامًا لما يكمن خلفهما.

وعندما يفكر المرء فيما يولده الدالان فى كل حالة، سيجد أن العملية مهمة. فالاختلاف بين «للسيدات» و«للرجال»، يجعل أعضاء الحضارة الغربية يلاحظون قانونًا ثقافيًا جادًا.





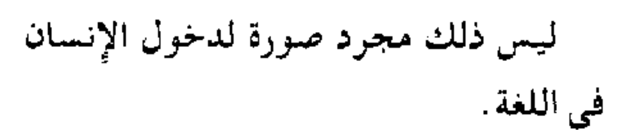
حتى يحتل الطفل مكانه فى العالم، لابد عليه أن يحتل موقعًا فى اللغة.

حتى يصير الإنسان ذاتًا، ويستطيع أن يشير إلى نفسه فى العالم الاجتماعى، لابد أن يدخل فى وسائل إنتاج الدلالة الموجودة مسبقًا، ويكتسب هذه الوسائل.

وهكذا ينظر لكان إلى الذات البشرية على أنها يهيمن عليها الدال، أو الاختلافات فى اللغة، إذا شئنا الدقة.

وصياغته الجديدة للخوارزمية algorithm هى كما يلى: ي د

ولكنها تعمل كما يلى، وهذا هو الأهم:



ليس ذلك مجرد صورة لدخول الإنسان فى اللغة.

فهو فى الواقع، دخول الإنسان فى مادة الذاتية نفسها.

ومما تتكون هذه الذاتية؟

هى الوقوع التام فى الشبكة اللانهائية لإنتاج الدلالة.

ليست العلامة مكتفية بذاتها أو ذات حركة من المدلول إلى الدال، بل تتكون من مجالين متمايزين لايلتقيان أبداً.



هناك مجال الـ «د» الكبيرة (الدال، عالم عمل الدلالة، الثقافة)...

د د د د



... ومجال الـ «د» الصغيرة (العالم الداخلي، أو ذلك العالم الذى لا يمكن التعبير عنه من خلال الدلالة).

يفصلهما حاجز لا يمكن اختراقه، فليست هناك حركة رأسية من الدال إلى المدلول، فالحركة تحدث أفقيًا، حيث تحط المدلولات تحت دوال مختلفة دومًا.

وبهذا المعنى، لا يعتبر المدلول خالصًا أبدًا: فهو أثيرى مراوغ ومتملص (وذلك أحد الأسباب فى أن السجل المادى موسوم بـ «د» كبيرة فى مقابل الـ «د» الصغيرة التى يصعب الإمساك بها).



لكن كل ذلك لا يعنى أن الذات مدخلة فى لعب لانهائى، يجعل قول أو فعل شيء ذى معنى افتعالاً تامًا.

يطلق لكان على الدوال الأساسية اسم «أزرار التنجيد» Points de caption، كما فى قطعة أثاث.

يمكن لأزرار التنجيد فى سلسلة من العلامات أن تعمل بكلتا الطريقتين التزامنية والتعاقبية.



من الناحية التعاقبية كجملة، يتكشف التركيب أو الجزء من الخطاب، وتحور كل علامة العلامة التى تسبقها، وبالتالى سيتم تركيب المعنى بأثر رجعى، ويتم «غلقه» لزرار تنجيد فى النقطة النهائية الحاسمة للتركيب.

من الناحية التزامنية، يصير السجلان د / د فى العلامة «مغلقين»، أو راسيين سويًا كزرار تنجيد بطريقة تجعلا العلامة تبدو كما لو كانت معنى موجودًا دومًا؛ ولكن ذلك فى الواقع تم تركيبه من الخارج.

غالبًا ما يحدث هذا التركيب من خلال الدال «الأساسى»، أو «السيد»، الذى يتم إعلاء قوته من خلال قوة دفعه ذات الأثر الرجعى.

من الأمثلة الشائعة على ذلك «ختم»، كلمة ما فى الخطاب السياسى.

العمال

نقابة العمال

الصحة

التعليم

مجلس الإسكان

المساواة


من الواضح أن، هذه الصياغة للعلاقة بين نظام العلامات، والذاتية مهم جداً.
كانت «حرية» الدال «مغلقة» دوماً فى بريطانيا إبان حكم تاتشر أثناء الثمانينيات بصورة متميزة جداً، نتيجة لعمل تلك الدوال التى وضعت بجانبه، وتلك الدوال «الأسياد» التى تعمل على تحسينها.
حرية استغلال
حرية تجاهل حرية
حرية
نهاية
مما لا شك فيه أن لاكان كان يدرس الموضوعات العلاماتية فى الأساس، بغرض توسيع ممارسته ونظريته في التحليل النفسى؛ ولكن ملاحظاته على طريقة عمل نظم العلامات ملاحظات قاطعة بدرجة كافية، توضح مدى إلحاح دراسة العلامة فى الحياة الحديثة.

بالرغم من أن الذات أقل تورطًا فى مراجعة علم العلامات التى قام بها چاك دريدا ، فإن هناك نتائج حاسمة فى عمله على علاقة الإنسان بنظام التمثيل .

يمثل نقده لسوسير هجومًا على كل الفلاسفة الكبار فى الغرب ، منذ أفلاطون الذى ارتكب فى نظر دريدًا خطأ قاتلاً وهومركزية الكلمة logocentrism ، (أى القوة العقلانية المفترضة للكلمة على تفسير العالم) .



ما يكشفه دريدا عن النصية textuality ، يهدد على نحو خطير مشروع الفكر «العقلانى» بأكمله .

يقع مفهوم الاختلاف المرجأ différance في صميم هذا التهديد، ويعتبر هذا المصطلح صدى لإصرار سوسير على الاختلاف difference كمبدأ يدعم اللغة، لكن دريدا يرى أن الاختلاف عند سوسير لم يخطو خطوات كافية، كما أنه ليس صادقًا مع نفسه.

يؤسس دريدا هذه الحقيقة من خلال حيلة ماكرة شديدة الفطنة، فبدلاً من أن يقبل كتاب دروس في علم اللغة العام بصورته التي شاعت في الدوائر الفكرية الفرنسية أثناء الخمسينيات، والستينيات، يرجع إلى نص سوسير ويسأل تلك الأجزاء التي تم إهمالها بوجه عام.



في مراحل عديدة من كتاب دروس في علم اللغة العام (بما فيها فصل كامل)، يبدى سوسير بعض الملاحظات على الكتابة التي يجعلها مقابلاً لموضوع الدراسة الأساسي، وهو الكلام.

من بين هذه الملاحظات، الموضوع المتكرر بأن الكتابة شكل «ثانوى» من أشكال إنتاج الدلالة.

من الطريف أن سوسير عندما يستخدم الكتابة لتوضيح أفكاره عن الكلام، يعامل الكلمات على أنها أنظمة مناظرة من العلامات الاعتباطية. فعلى سبيل المثال، يقول: إن الحرف «ت» لا يعمل إلا إذا كان تدوينه متميزاً عن كل الحروف المكتوبة الأخرى.



باختصار، يرى دريدا أن سوسير يميز الكلام على الكتابة، بأن يعطى الانطباع بأن الدال المنطوق أقرب إلى حد ما للمدلول.

الشكل المنطوق فقط، هو الذى يشكل موضوع [علم اللغة].



بهذا الشكل، تعتبر الكتابة خارجية، تتغذى بعيدا عن الجوهر الأولى لإنتاج الدلالة.

يرى دريد، أن ذلك دليل فاضح على ميول سوسير مركزية الكلمة، ومثلما الحال فى القدر الأعظم من الفلسفة الغربية بداية من أفلاطون، نجد أنفسنا أمام سيناريو نقاء (العلامة المنطوقة التى تشتمل على المدلول)، تغزوه قوة التأمل الملوثة (الكتابة، نظام ثانوى).

وبدلاً من أن ينزعج دريدا من هذا التلوث، يحثنا على أن نتعايش معه.



«المدلول المتسامى» وهم مريح لأنه يمكن مستخدمى العلامات من أن يقولوا بفعالية : «نحن هنا، بعد كل هذا الاختلاف بين العلامات، جعلنا منه فى النهاية معنى نهائيًا»، يمكن أن تكون هذه المعانى الثابتة النهائية معان دنيوية؛ لكن «المدلولات المتسامية» تكون سهلة المنال على وجه خاص عندما تأتى فى شكل أشياء مثل «الله»، أو «قانون الطبيعة».

الاختــــــــــــلاف

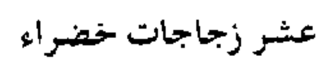
يقابل ذلك فكرة دريدا عن الاختلاف المرجأ، وهى توسع الاختلاف عند دريدا، وبما أنها تنطق بنفس الطريقة التى تنطق بها كلمة الاختلاف فى اللغة الفرنسية، فلا يمكن إدراك تميزها إلا أثناء الكتابة، حيث يوجد بها الحرف «a» بدلاً من الحرف «e» فى كلمة الاختلاف différence/différance.

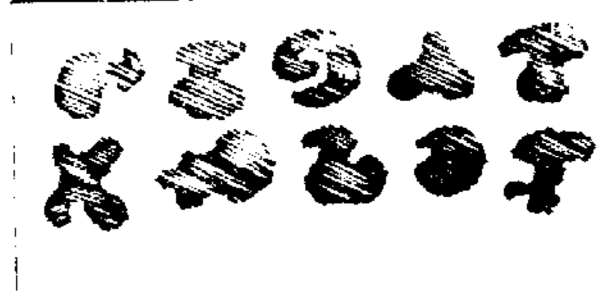
الاختــــــــلاف المرجــــــــــأ

تستمد قيمة العلامة من اختلافها عن العلامات المجاورة، وكل العلامات الأخرى. يجسد الاختلاف المرجأ ذلك؛ لكنه يدل أيضًا على أن قيمة العلامة ليست حاضرة بشكل فورى؟ فقيمتها «مؤجلة» إلى أن «تحورها» العلامة التالية في التركيب.

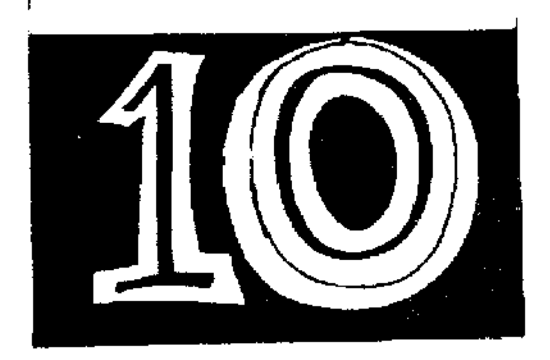
فلنضرب مثلاً بتركيب من أغنية إنجليزية.

عشـــــر زجاجـــات خـــضـــــراء





إلى الإجابة «عشر زجاجات ما».



عندما نقرأ من اليمين إلى اليسار، نجد أن الكلمة «عشر»، تحور من جراء «عشر ماذا؟»...



ثم يتم تحوير السؤال، «عشر زجاجات ماذا» إلى «عشر زجاجات خضراء».
لذلك هناك، مرة أخرى، تكوين رجعي للمعنى.

تسير الأمور على ما يرام حتى الآن.

إذا أطلنا التركيب أكثر ليصير:



عشر زجاجات خضراء واقفة على حائط

ستحدث تحويرات أخرى، فلتصير العناصر العشرة عناصراً واقفة على الحائط ويتم إرجاء «الإجابة» على السؤال «عشر ماذا؟» مرة أخرى.

عندما نصل إلى كلمة «حائط»، ونكون قد أرجأنا إجابتنا على الشيء الذى تقف عليه الزجاجات، نتصور الحائط لا على أنه حائط حال؛ بل حائط تقف عليه عشر زجاجات.

لذلك فإن العلامة حائط، تحمل أثراً من العلامات السابقة فى التركيب (أى «عشر زجاجات خضراء») دريدا

لكن فكر فيما يلى ألا تشمل «عشر زجاجات خضراء»، نتيجة لعملية الإرجاء فى الاختلاف المرجأ، أثرًا لـ «الحائط» التى تليها؟

هذه فكرة غريبة، خاصة وأن كلمة «حائط» كلمة تنتمى لمستقبل هذا التركيب الخاص، لكنها ليست غريبة إلى هذا الحد إذا كان المعنى يتم إرجاؤه دومًا إلى وقت لاحق.

فكر أيضًا فى الطريقة التى تحمل بها «عشر زجاجات خضراء»، أيضًا أثرًا للتراكيب السابقة، سيتوقع معظم الناس أن الأغنية ستحمل، لبعض الوقت، تحويرات لاحقة.





هناك ما هو أكثر إشكالاً من ذلك، وهو إمكان أن كل النصوص تجتازها آثار من النصوص الأخرى.

ما معنى ذلك؟

أسهل طريقة للتفكير فى ذلك أن نتخيل نصًا غنيًا بالإحالات إلى نصوص أخرى allu-sion.

إذا أخذنا منتجًا من هذا النوع، بداية من قصيدة ت. س. إليوت الصعبة الأرض الخراب (١٩٢٢)، حتى محاكاة ميل بروكس الساخرة لهتشكوك أو إجلاله له فى قلق كبير (١٩٧٨)، يتضح أن الاستمتاع يحدث علي مستويات مختلفة.

من الممكن، أن نستمتع بهذين النصين دون أن نتبين بالضرورة الإحالات إلى الأعمال الماضية الموجودة فيهما.

لكن عدم إدراكنا لهذه الإحالات، لا يعنى أنها ليست موجودة.

مما لا شك فيه، أن ظاهر الاختلاف المرجأ توجز الطريقة التى نخدع بها أنفسنا بأننا بشر عقلانيون، نمسك بزمام عملية إنتاج الدلالة بقوة.

الاختلاف المرجأ بطبعه يقاوم محاولات إعاقة تدفقه.



بالمثل، ما يوضحه لاكان عن الذات، بأنها «منتج» عملية إنتاج الدلالة، يزعج من يؤمنون بعقلانية البشر الذى يتصرفون بصورة مستقلة خارج نظام إنتاج الدلالة الذى يشغلونه بطريقة تنم عن حرية الإرادة.

لذلك، فإن ما بعد البنيوية ترفع أسهم علم العلامات، ويصير إنتاج الدلالة نظامًا قويًا، تتورط فيه المعرفة البشرية بشكل كلى.

في الدوائر الفكرية الأوروبية بعد مايو ١٩٦٨، قامت أعمال دريدا، ولاكان بدور السجلات المهمة للحاجة إلى إعادة التفكير في إنتاج الدلالة، والفاعلية البشرية.



هناك شخصية مهمة أخرى، وهى فوكو الذى كان أقل وضوحًا فى توجهه نحو علم العلامات.

مثل هذه الخطابات، تؤسس معالم لجوانب الذاتية البشرية.

ربما كانت ما بعد البنيوية إحدى هذه الخطابات المؤسسة، مركزة بصورة انعكاسية على الناس، وإنتاج الدلالة.


فى بريطانيا خلال السبعينيات، والثمانينيات من القرن العشرين، أصبح فوكو ولاكان شخصيتين ثقافيتين بارزتين، (وثانيهما فى مجال نظرية السينما، وفى الشكل النصى المهذب بوجه خاص).
ولكن فى مجال الدراسات النصية (خاصة النظرية الأدبية)، صار دريدا زعيما من خلال مناصب الأستاذية العديدة التى منحها فى الولايات المتحدة.
من الجهة الأخرى، قاومت المؤسسة الأكاديمية البريطانية دريدا فى الغالب حتى فى عام ١٩٩٢، عندما كان دريدا أشهر فيلسوف فى العالم، كانت هناك معارضة لمنحه درجة فخرية فى كمبريدج.
ربما كان من الطبيعى أن، مبادىء دريدا التفسيرية لاقت مثل هذا الترحيب فى الولايات المتحدة
سيدرك القراء النابهون أنه من خلال فكرة الصورة الذهنية للعلامة، وإنتاجية العلامات غير المحدودة، العديد من أفكار نظرية العلامات عند دريدا، متضحة فى «علم العلامات» عند تشارلز بيرس.

علم العلامات الأمريكى

يذهب العديد من المعلقين إلى أن أمريكا لها تاريخ طويل من الاهتمام بنظم العلامات.

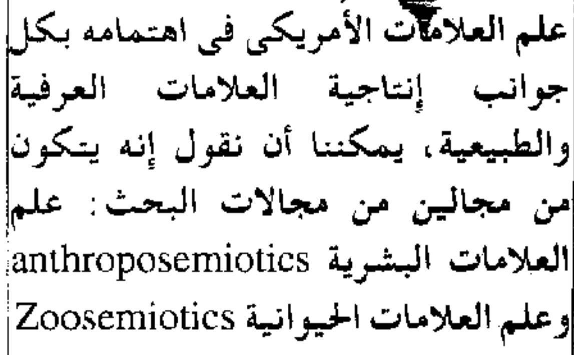
فمن جهة، هناك مهارات اقتفاء الأثر لدى الأمريكان الأصليين، الذين كانوا يقتاتون من قدرتهم على اقتفاء أثر الحيوانات، وتأويل العلامات التى تسهل اصطياد الحيوان.

هذا الجانب هو ما يتم الاحتفاء به فى إحدى بدايات الأدب الأمريكى، وهى روايات «عين الصقر» لجيمس فيتمور كوبر (١٧٨٩ - ١٨٥١). من الجهة الأخرى، هناك تراث تفسير النصوص المنتشر انتشاراً كبيراً فى الولايات المتحدة، بداية من قراءات البيوريتانيين للكتاب المقدس التى أقامت نيوانجلاند فى القرن السابع عشر، مرورا بالدستور المكتوب، حتى المعارك حول اللغة غير العنصرية- Political correctness التى تستعر هذه الأيام.

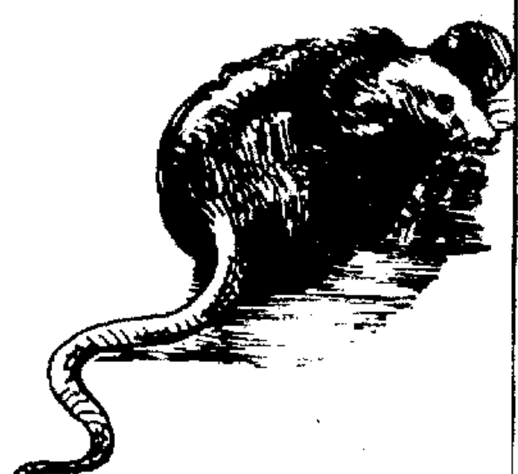


تمثل هذه المعارك، فى أحد جوانبها، الانشقاق بين العلامات «العرفية»، والعلامات «الطبيعية». إذا كانت إنتاجية العلامات Semiosis هى الفيض المستمر للدلالة، فإن علم العلامات هو مذهب العلامات.

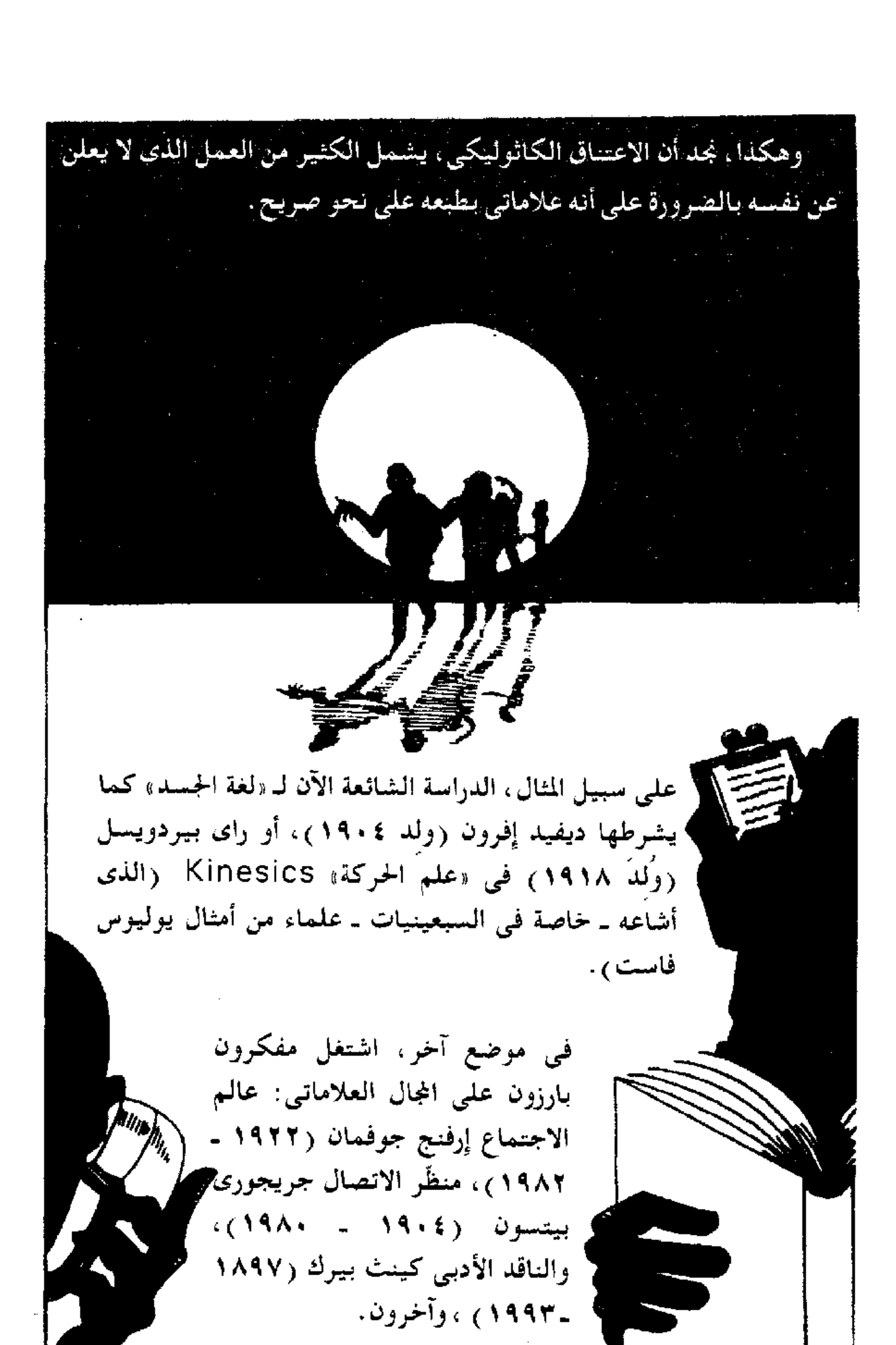
ما يميز علم العلامات الأمريكى عن علم العلامات الأوروبى، هو جذور الأول الضاربة فى محاولة لتناول «كل» أنواع تفاعل العلامات، وليس مجرد نظم العلامات البشرية والعرفية، والثقافية التى تضعها البنيوية وما بعد البنيوية موضع المساءلة.



علم العلامات الأمريكى فى اهتمامه بكل جوانب إنتاجية العلامات العرفية والطبيعية، يمكننا أن نقول إنه يتكون من مجالين من مجالات البحث: علم العلامات البشرية anthroposemiotics وعلم العلامات الحيوانية Zoosemiotics



وهكذا، نجد أن الاعتناق الكاثوليكي، يشمل الكثير من العمل الذي لا يعلن عن نفسه بالضرورة على أنه علاماتي بطبعه على نحو صريح.



على سبيل المثال، الدراسة الشائعة الآن لـ «لغة الجسد» كما يشرطها ديفيد إفرون (ولد ١٩٠٤)، أو راى بيردويسل (وُلدَ ١٩١٨) في «علم الحركة» Kinesics (الذى أشاعه - خاصة في السبعينيات - علماء من أمثال يوليوس فاست).

في موضع آخر، اشتغل مفكرون بارزون على المجال العلاماتي: عالم الاجتماع إرفنج جوفمان (١٩٢٢ - ١٩٨٢)، منظّر الاتصال جريجوري بيتسون (١٩٠٤ - ١٩٨٠)، والناقد الأدبي كينث بيرك (١٨٩٧ - ١٩٩٣)، وآخرون.

ولكن هناك شعور غالب بأن الفترة بين موت بيرس، والإعداد لنشر أبحاثه الكاملة عام ١٩٣١ ، فترة انتقالية فى علم العلامات الأمريكى.

أكثر الأعمال تأثيراً فى تلك الفترة، قام به الباحثان الإنجليزيان س. ك. أوجدن (١٨٨٩ ـ ١٩٥٧) ،و أ. أ. رتشاردز (١٨٩٣ ـ ١٩٧٩)، اللذان نشر عملهما معنى المعنى عام ١٩٢٣، وبالرغم من قبوله فى أمريكا، وعرضه القيم لبيرس فى الملحق د، فإنه لم ينشىء تراثًا بريطانيا أمريكيًا فى الدراسة العلاماتية.



بعيداً عن العمل المهمل لڤكتوريا، سيدة ولبى (١٨٣٧ - ١٩١٢)، المشهورة بأنها مراسلة بيرس، ظل علم العلامات البريطانى مطموراً فى عمل الفلاسفة- من أمثلة برتراندرسل (١٨٧٢ - ١٩٧٠)، ولودڤيج ڤتجنشتين (١٨٨٩-١٩٥١).

كان العديد من كبار المساهمين فى علم العلامات الأمريكى فى القرن العشرين مهاجرين لامعين؛ بالرغم من أن أول مفكر كبير بعد بيرس وُلد على أرض أمريكية.

كان تشارلز موريس (١٩٠١ - ١٩٧٩)، يدرس تحت إشراف ج. هـ. ميد (١٨٦٣ - ١٩٣١)، الذى كان يدرس بدوره تحت إشراف صديق بيرس وزميله وليام جيمس (١٨٤٢ - ١٩٠١).

قال موريس عن بيرس:

«إن تصنيفه للعلامات، ورفضه فصل عمليات العلامات الحيوانية، والبشرية فصلاً كاملاً، ونظراته الثاقبة غالبًا فى المقولات اللغوية، وتطبيقه لعلم العلامات على قضايا المنطق والفلسفة، والفطنة العامة لملاحظاته وتمييزاته، كل ذلك يجعل من عمله فى علم العلامات مصدراً للتحفيز قلما نجد له أندادًا فى تاريخ هذا المجال».


بكتابه أساس نظرية العلامات (١٩٣٨)، بدأ موريس توجهًا جديدًا كبيرًا لدراسة العلامات.



أجرى موريس عمله الأول فى فترة كانت فيها «المدرسة السلوكية» تهيمن على الفكر الأمريكي، فبالاعتماد على أعمال عالم وظائف الأعضاء الروسى أ. ب. بافلوف (١٨٤٩ - ١٩٣٦)، نظر العديد من الباحثين الأمريكان إلى السلوك البشرى، والحيوانى على أنه استجابات لمنبهات مادية.

بالنسبة لعالم لغة سلوكى مثل ليونارد بلومفييلد (١٨٨٧ - ١٩٤٩)، يمكن فهم اللغة على أنه مجموعة من الاستجابات البديلة لمنبهات معينة، علاوة على أن هذه الاستجابات يمكن ملاحظتها فى ضوء السلوك البشرى، وليست بصفتها نتيجة لنظرية ما فى العلاقة بين «الفكر»، و«اللغة».




تخيل أنك آويت قطة ضالة ترغب فى حياة مستقرة، ليست القطة مدربة تماماً على الحياة فى المنزل، وأثناء النوم، تريد منها أن تدخل حجرة معينة حيث يمكنها النوم ، وتجد الماء، وتترك المنزل حينما تريد.
TREATS
فى البداية، تغرى القطة بالدخول إلى الحجرة، بأن تقدم لها وجبة سمكية لذيذة من عبوة.


ولكن بعد تعودها على ذلك على مر عدة ليال متتالية، تلاحظ أنها تدخل الحجرة مباشرة عند سماع الخشخشة الصاخبة لعبوة وجبات القطط.
CAT TREATS
فى النهاية ، تجد أنه عندما تنفد العبوة، تقوم الخشخشة وحدها بدور المثير الذى يغرى القطة المستأنثة حدثياً بالدخول فى المكان المطلوب.

في ضوء علم العلامات السلوكي عند موريس، تؤسس وجبة القطط الأصلية بالإضافة إلى العبوة التى تصدر خشخشة استعدادا، يجعل الخشخشة لوحدة تمثل علامة على الطعام.

وكون القطة لا تستطيع أن تأكل الخشخشة ـ بينما يمكنها أن تأكل وجبة القطط الأصلية ـ يعرف الخشخشة بأنها علامة بالمعنى البيرسى [نسبة إلى بيرس]، تمثل موضوعاً.

في هذه السلسلة، هناك موضوع منبه (على سبيل المثال «وجبة القطط»).

مجموعة من الاستجابات.

استجابة نهائية موجهة نحو هدف (على سبيل المثال، أكل طعام القطط).



ذلك ما يطلق عليه موريس اسم سلسلة الاستجابات؛ وهى

سلسلة مكتملة-؛ لأن الهدف يتم تحقيقه بواسطة القطة التى تأكل الوجبة.

عندما لا تستطيع القطة أن تحقق هدفًا عرفيًا (على سبيل المثال، لا تستطيع أن تأكل الخشخشة)، يكون هناك سلسلة استجابات غير مكتملة.



في هذا الإطار يعيد موريس صياغة وصف بيرس للعلامة، فيرى موريس أن سلسلة الاستجابات تتكون مما يلي، كما سنرى في الصفحة التالية.

العلامة = منبه تحضيرى.
وذلك يناظر العلامة/
الممثل عند بيرس



المفسر = الكائن الذى يمثل شيئاً ما،
علامة بالنسبة له.

المنجز denotatum = أى شىء يحقق الاستعداد بأن يسمح باكتمال سلسلة الاستجابات ، ومن هنا ، فإنه يعادل الموضوع عند بيرس.

قرائن المنجز =
= significatum
الشروط التى يجب توافرها حتى يصير شىء ما منجزا للعلامة، وذلك لا يختلف عن فكرة الأرضية ground عند بيرس.

يمثل هذا المخطط أساس فهم موريس للعلامة بأنها «شىء ما يوجه السلوك بالنسبة لشىء ما آخر، لا يعتبر فى هذه اللحظة منبهاً».

ولكن عندما يتم مد هذه المبادىء إلى مجالات أخرى من إنتاج الدلالة، يصير موريس عرضة للنقد التى يوجه للسلوكية بوجه عام.

الصورة الذهنية = الاستعداد الذى تخلقه العلامة فى المفسر حتى يشارك فى سلسلة الاستجابات، وذلك يعادل مصطلح بيرس الذى يتخذ نفس الاسم، خاصة وأنه العنصر الثالث الذى يجمع الممثل، والموضوع.

السيناريو البديل لإنتاج الدلالة الذى يصفه موريس يشتمل، على سائق الشاحنة الذى يحيد عن الطريق الرئيسى عندما يعرف أن هناك انهيالاً أرضياً أمامه.



من الواضح أن المنجز فى مخطط موريس، لابد أن يكون الانهيال الأرضى ذاته. بالمثل، الصورة الذهنية هى الاستعداد لتفادى الانهيال الأرضى الذى تشير إليه اللوحة الموضوعة على الطريق.

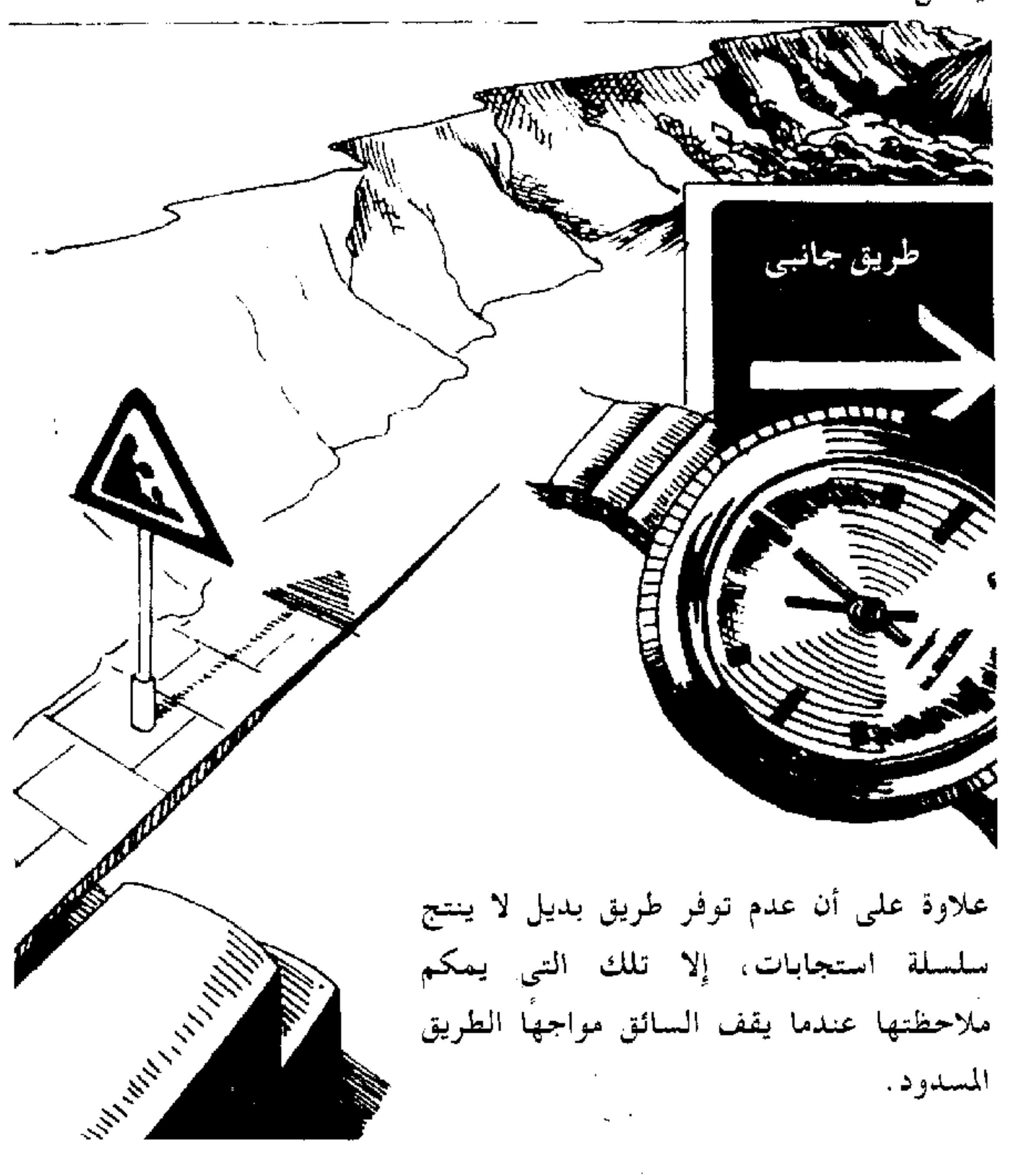
لكن هل يمكننا أن نتأكد من ذلك من خلال ملاحظة الانهيال الأرضى (المنجز)، واللوحة الإرشادية، والمفسر، والهدف النهائى؟

على وجه الدقة، هل المنجز هو الذى ينشط سلسلة الاستجابات لدى السائق؟

إن وجود (أو وعد) الطعام، يمكن أن يجعل القطة تستجيب بطريقة معينة. لكن عندما يتعلق الأمر بالتحفيزات البشرية، تبدأ التعقيدات في الظهور.

ربما يؤسس الحيوان الناجح استعداداً لتفادى الانهيال الأرضى، ومن المحتمل أن الرغبة القوية فى الوصول إلى المكان المحدد فى الوقت المحدد، هى التى تملى تفادى الانهيال الأرضى.

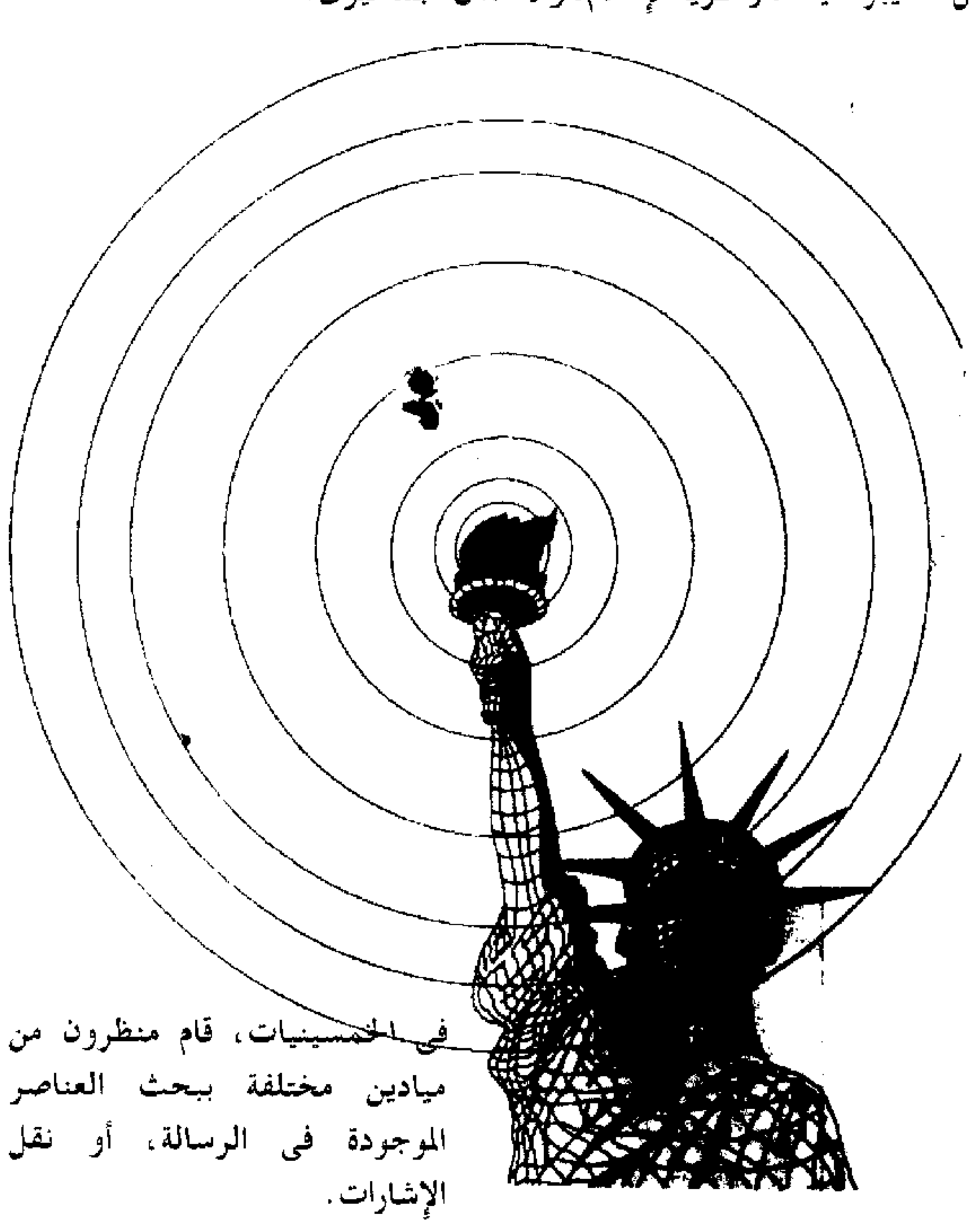
وفى كل حالة، لا يعتبر الانهيال الأرضى منجزاً [بكسرا لجيم]، بالرغم من أنه يمكن ملاحظته هكذا.



علاوة على أن عدم توفر طريق بديل لا ينتج سلسلة استجابات، إلا تلك التى يمكم ملاحظتها عندما يقف السائق مواجهاً الطريق المسدود.

من المحتمل أن النزعة السلوكية فى علم العلامات عند موريس، حالت دون اشتراكه الفكرى فى مجالات أخرى من العمل الأمريكى فى مجال إنتاج الدلالة.

فى الوقت الذى كان للمفسرين الأوربيين لأنظمة العلامات، تأثير كبير فى تشكيل الدراسات الثقافية، ودراسة الاتصال، والدراسات الإعلامية، لمن يكن للرواد الأمريكان مساهمة كبيرة فى علم العلامات، بل فى موضوعات مرتبطة به مثل السيبرنطيقا ، ونظرية الإعلام، والاتصال الجماهيرى.



فى الخمسينيات، قام منظرون من ميادين مختلفة ببحث العناصر الموجودة فى الرسالة، أو نقل الإشارات.


وضح العالم السياسى الأمريكى
هارولد لاسويل (١٩٠٢ - ١٩٨٠)، نموذجا من أشهر نماذج عمليات الاتصال، وأكثرها اقتباسا عام ١٩٤٨ :
من
يقول ماذا
فى أية قناة
إلى من
بأى أثر ؟
هذه الصيغة المستقيمة تلاها
فى التالى نشر نموذج شهير كذلك على يد كلود شانون (وُلد ١٩١٦)، ووارين ويفر (وُلد ١٩٢١) :
مصدر المعلومات
ناقل
مصدر صوت
مستقبل
محطة الوصول
تناول نموذج شانون نقل الإشارات الرياضية، ولكن ويفر ناقش النموذج فى ضوء قابليته للتطبيق على الاتصال البشرى
من الواضح أن «المعلومات» شفرة فى إشارات ليفك شفرتها المستقبل، وهنا تكمن الإمكانات البشرية.



تكمن فائدة نموذج شانون، وويفر فى أنه أدخل غوراً من التعقيد فى عملية المعلومات، فبدلاً من التدفق المستقيم للمعلومات «الخالصة» من مصدر إلى مستقبل، نجد أن التشفير، وفك التشفير يؤكد الذاتية الموجودة فى الاتصال، كما يؤكد ذلك «التشويه» الكامن فى «الصوت».

علاوة على أن نماذج الاتصال، مثل عمل موريس فى علم العلامات، ليست شديدة العناية بتفاصيل أنواع إنتاج الدلالة التى سعت هذه النماذج إلى وصفها، كل قنوات الاتصال جديدة بالوصف فى إطار نموذج معين.



فى الواقع، شهدت بداية خمسينيات القرن العشرين موجة من التفاؤل حيال نظرية موحدة فى الاتصال، تشمل عناصر علم الاجتماع، والعلوم السياسية، وعلم العلامات، وعلم الأحياء، وعلم اللغة، والنقد الأدبى، وعلم الأنثروبولوجيا.

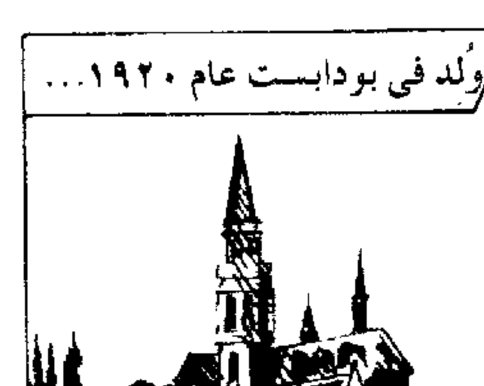
تميز ذلك بوجه خاص بسلسلة من المؤتمرات بينية العلوم فى نيويورك، وشيكاغو، يحاضر فيها عالم السيبرنطيقا نوربرت فينر (١٨٩٤ - ١٩٦٤)، عالمة الأنثروبولوجيا مارجريت ميد (١٩٠١ - ١٩٧٨)، عالم الاجتماع تالكوت بارسونز (١٩٠٢ - ١٩٧٩)، والناقد الأدبى أ. أ. رتشاردز، ومنظر الاتصال جريجورى بيتسون، وآخرون.

لكن نماذج الاتصال - خاصة تلك النماذج التى تم تطويرها بعد شانون، وويفر - لم تدخل المرونة فى مخططا الخطى، حتى تتعامل مع تقلبات إنتاجية العلامات.



(١) كان أستاذنا الدكتور زكي نجيب محمود، يفضل أن تكتب هذه المصطلحات كما هي بلا ترجمة أى: السمانطيقا، والسنتاطيقا، والبرجماطيقا؛ كي يكون استعمالها تميزاً - قارن خرافة الميتافيزيقا ص ٢٠٤ (وكذلك موقف من الميتافيزيقا) في نفس الصفحة (المراجع).

وُلد في بودابست عام ١٩٢٠...



... سافر سيبوك إلى الولايات المتحدة عام ١٩٣٧ ،حيث التحق بجامعة شيكاغو، ثم أكمل الدراسات العليا في علم اللغة في برنستون

صار تلميذ موريس ـ العلامة المتبحر توماس سيبوك (وُلد ١٩٢٠)، ومشارك في مؤتمرات الخمسينيات ـ القوة الكبرى في علم العلامات على مستوى العالم





لذلك فإن سيبوك واحد من العديد من المهاجرين الذين يكونون الوهم الخرافي المعروف باسم «علم العلامات الأمريكي»، مع فلاسفة مثل إرنست كاسيرر (١٨٧٤ ـ ١٩٤٥) من ألمانيا، ورودولف كارناب (١٨٩١ ـ ١٩٧٠) من النمسا، وجاك ماريتان (١٨٨٢ ـ ١٩٧٣) من فرنسا، وعالم اللغة رومان جاكسون (١٨٩٦ ـ ١٩٨٢) من روسيا.

منذ عام ١٩٤٣ ، يقوم سيبوك بالتدريس فى جامعة إنديانا فى بلومنجتون ، ومن هذه القاعدة آثار زوابع لا تخمد لصالح علم العلامات ، وحرر سلاسل عديدة من العناوين الجديدة والروائع المهملة ، وأسس الرابطة الدولية للدراسات العلاماتية IAss عام ١٩٦٩ ، ومنذ هذه السنة يعمل رئيس تحرير الدورية الدولية الانتقائية Semiotica. نتيجة لجهود سيبوك الإدارية ، وانجازاته ، تم تعمير كلمة semioties فى أوربا وأمريكا ، وتم إهمال كلمة semiology للأبد.



إن مهارة سيبوك اللغوية لم تقيده فى إطار دراسة الاتصال البشرى، بل دفعته أيضاً إلى القيام بدراسة غير لغوية، كما دفعته إلى البحث فى عالم الحيوانات.



يرى سيبوك أن إحدى الخصائص المميزة الرئيسية لعلم العلامات الحيوانية ، هو إنه بدون لغة، على خلاف علم العلامات البشرية.

خصصت دراسات عديدة للتواصل الحيواني، خاصة في فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية، إلا أن هذه الدراسات افترضت في الغالب على خطأ: وجود لغة حيوانية .

ربما كانت أشهر دراسة للعلامات الحيوانية هي تلك الدراسة التي قام بها كارل فون فريش (١٨٨٦ - ١٩٨٢) ، وهو حاصل على جائزة نوبل، وقام في العشرينيات بملاحظة «رقصات» النحل.

قررت أن بعض مسارات الطيران، وحركات الذيل التي تقوم بها النحلة العائدة إلى الخلية، كانت تشير، بالنسبة للنحل الآخر إلى إتجاه، وقرب مصدر رحيق.

بالمثل، أُجريت دراسات على تنوع أغانى الطيور التى تتميز فى الغالب بلهجات محلية، وتعتمد على التعلم بالتأكيد.

على مستوى مختلف قليلاً، لوحظ أن بعض الغوريلات فى الأسر اكتسبت حوالى ٢٢٤ كلمة من لغة إشارات معينة.

ولكن سيبوك نفى تمامًا أن تكون الحيوانات تتكلم لغة ما.




فى العديد من حالات الحيوان الذى يستجيب لمحاولات
الإنسان أن يتواصل معه ـ على سبيل المثال، إجراء عمليات
حسابية بنقر الحافر عدة مرات ـ يمكن إيضاح أن الحيوان
لا يستجيب للإشارات البشرية الواضحة.
فهو يستفيد من الإرشارات غير اللفظية العديدة
لمحادثة، التى تم إدخالها عمداً على سبيل الخدعة.
يطلق سيبوك على هذا النوع من إساءة تفسير
التواصل الحيوانى «أثر هانز الماهر» على
اسم أشهر حالة من نوعها.
ولكن الظاهرة ليست مجرد مهمة،
لاستخدامها فى كشف حقيقة الخدع
المقصودة/ غير المقصودة.
ما حاصل جمع ٢ + ٢؟
توك
توك
توك
توك

بالنسبة للمشاهد ولبعض البشر المشاركين فى مثل هذه التمارين، يتمثل الجانب المثير فى أثر هانز الماهر، فى أن العلامات التى يتلقاها البشر من الحيوان ليست حيوانية فى الأصل.

ففى الواقع، تنبعث العلامات من الإنسان الذى يقدم الإشارات فى المقام الأول. وهكذا يتلقى المرسل رسالته مرة ثانية من مستقبلها، ولكن فى شكل مشوه.



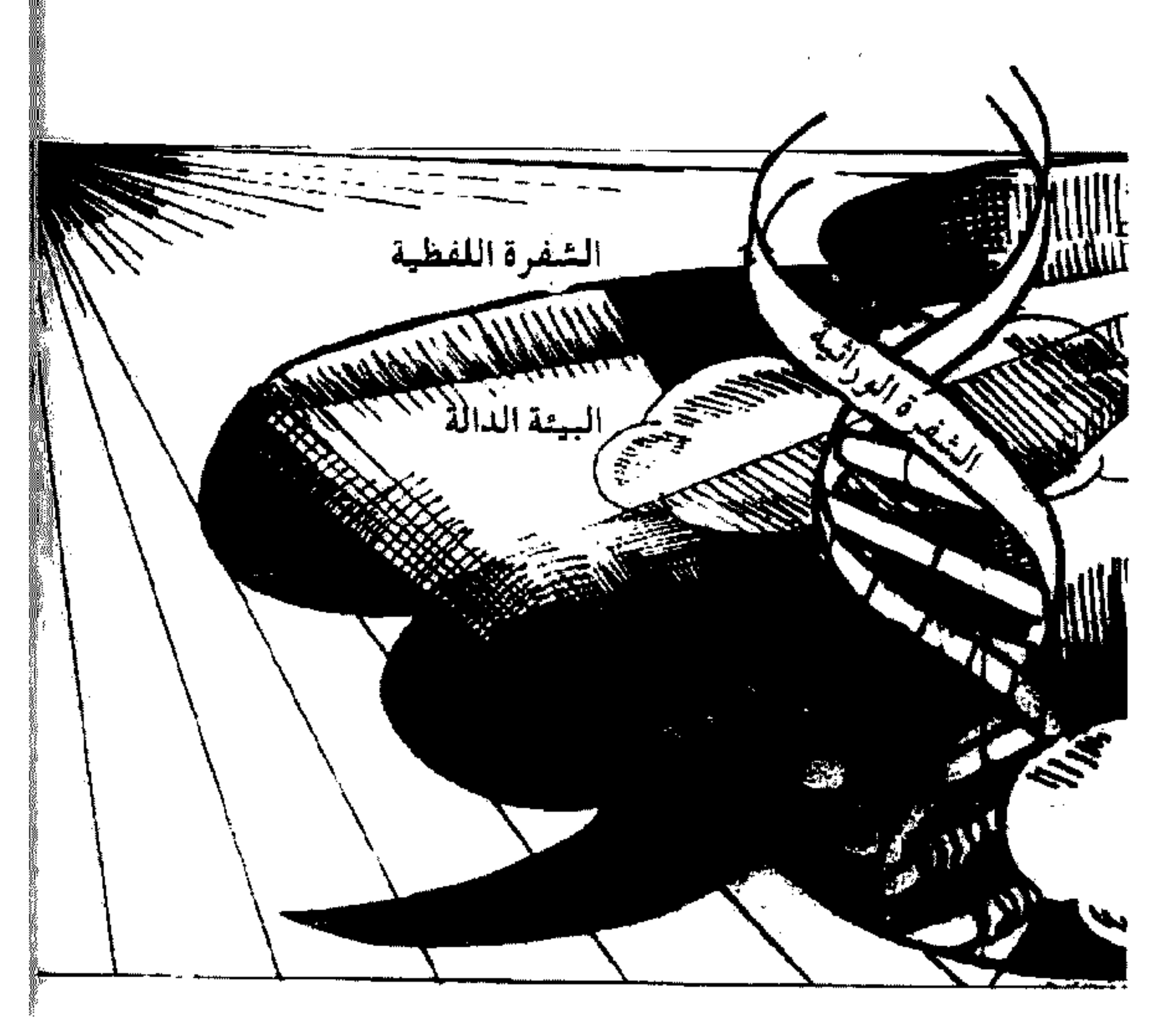
بالاستناد إلى عالم الأحياء الألماني، الإستوني الأصل، يعقوب فوون أوكسكول (١٨٦٤ - ١٨٤٤)، يصف سيبوك كيف أن إنتاجية العلامات تتم في بيئة دالة.

يرى سيوك أن إنتاجية العلامات بأكملها تتم في إطار نظامي علامات عالميين: الشفرة الوراثية، والشفرة اللفظية.

الشفرة الوراثية، (الموجودة في كل الكائنات على الأرض من خلال حمض دي أكسي ريبونيو كليك DNA، وحمض ريبونيو كلييك RNA)، والشفرة اللفظية لكل الشعوب (البنية الكامنة التي تجعل كل اللغات ممكنة).

ويوجدُ داخل ذلك الكائنات التي تخدم بعضها البعض، وبيئتها الدالة.

البيئة الدالة جزء من بيئة ما «يختار» الكائن أن يسكن فيها، وهي العالم الإدراكي أو «الذاتي» للكائن.

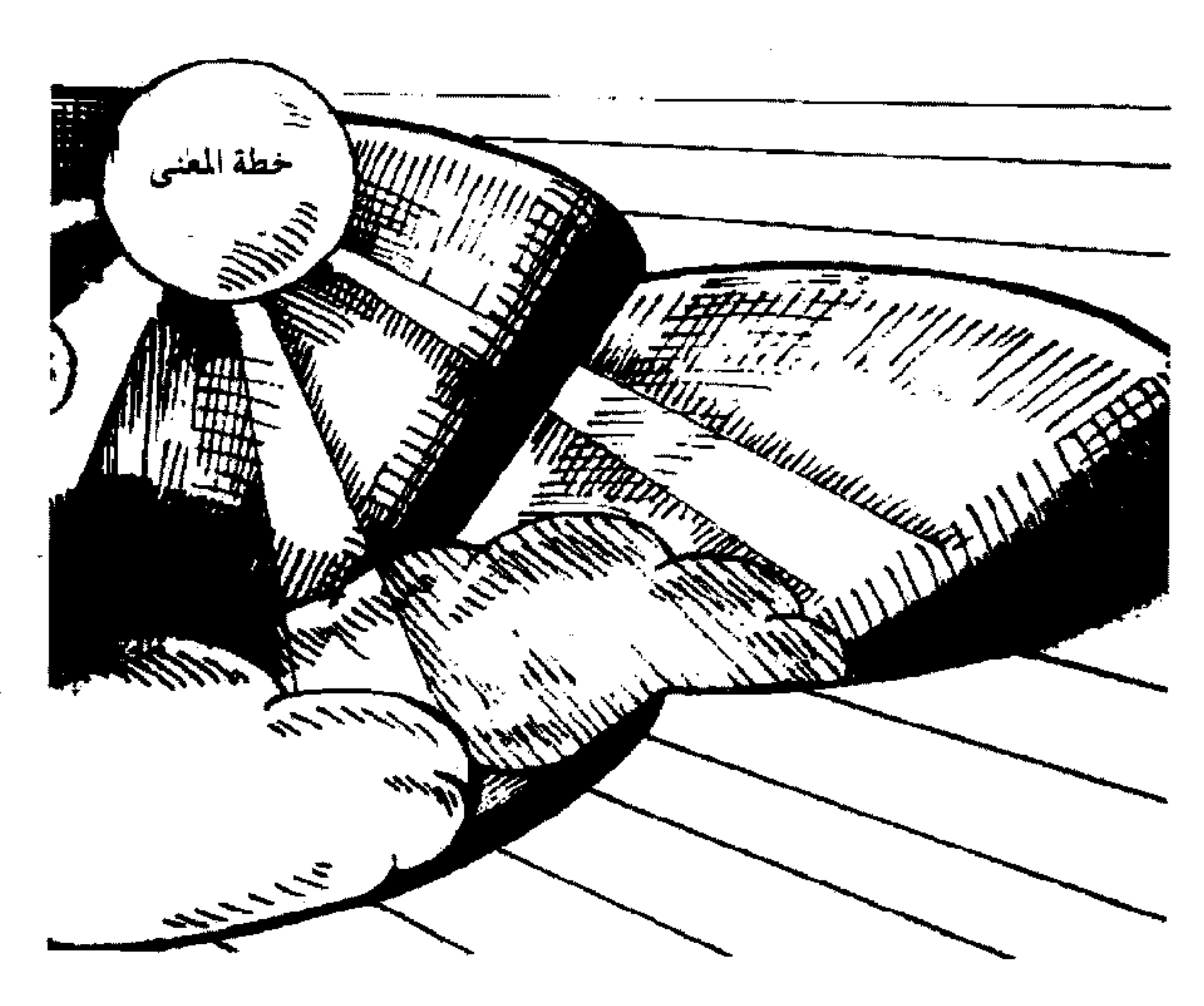


ولكن الكائن أيضًا يمثل علامة على البيئة الدالة، بمعنى أن بنية الكائن تدل على طبيعة بيئته.

من ناحية أخرى، توضح البيئة الدالة أيضًا أنها علامة على الكائن، بمعنى أنه من الممكن أن نقوم ببعض التخمينات عن الكائن بالاعتماد على تحليل بيئته.

ترتبط البيئة الدالة، والكائن سويًا - بطريقة شبه بيرسيه - من خلال عامل ثالث، في شكل شفرة يسميها سيوك «خطة المعنى»، وهو يتبع أوكسكول في هذه التسمية.

هذه الشفرة كيان مهيمن، بمعنى أنها خارج الكائن، وتسبق وجود الكائن.



ومع ذلك يجسد الكائن عملية مستمرة لتأويل بيئته الدالة، فيلد كائنات أخرى، وهى تولد فى بيئة دالة موجودة من قبل؛ لكنها تساهم فى تفسير أو سلسلة أكبر للبيئة الدالة المستمرة.

هذا تصور شامل جدا لإنتاجية الدلالة! إنه تصور يضم عدة مصادر، ومثل نظرية الاتصال فى الخمسينيات، يتنبأ بالعديد من القنوات الممكنة.

عندما يتناول سيبوك المصادر، يتضح كيف أن الدلالة البشرية - إنتاجية العلامات البشرية - مجرد جزء صغير من عالم العلامات.

إذا لم يكن هذا العالم متنوعا بدرجة كافية، انظر إلى تصنيف سيبوك للقنوات التى يمكن أن يتواصل من خلالها مرسلو الرسائل، ومستقبلوها.



فى ضوء هذا التنوع الهائل فى إنتاجية العلامات، سيكون أى نموذج عام لطريقة عملها شديد التعقيد.

يمكننا عمل سيبرك من أن نفهم إنتاجية الدلالة، وعمليات محاكاتها فهما أوسع. كما يمكننا أيضا من إعادة تقييم التقاليد العلاماتية برمتها.

علم العلامات السوفيتى

في عام ١٩٧٠ ، وجد سيبوك نفسه في إستونيا حيث وجهت له دعوة طارئة ليحاضر في مدرسة تارتو الصيفية الرابعة التي تعقد كل سنتين عن علم العلامات.

وبما أن البيئة الدالة تحتل مكانًا مركزيًا في عمله، كان من المناسب أن يفتح سيبوك موضوع «الاحتذاء»، أو «برنامجا للسلوك». و«الاحتذاء» يفترض تصورا للعالم «تقف فيه البيئة في علاقة تبادلية مع نظام آخر، مثل الكائن الفرد، الجماعة، حاسب آلي، وما شابه ذلك، وحيث يقوم انعكاسه بدور المتحكم في طريقة الاتصال الكلية لهذا النظام».

في ضوء هذا، لا تعتبر منتجات السلوك البشرى ـ النصوص اللغوية، الثقافات، المؤسسات الاجتماعية ـ نتيجة للإبداعية التي لا يمكن سبر أغوارها، بقدر ما هي مجموعة من قيود، أو خيارات طريقة العمل.

كان الموضوع الذى اختاره سيبوك ملائما أيضا؛ لأن علم العلامات الروسى شهير ببحثه في فكرة «الاحتذاء»، وهذا فرض كائن لمبادئه الأساسية تاريخ متعب، ولكنه ثرى في الحياة الفكرية الروسية.



تطور علم العلامات الروسي من بعض التيارات الأساسية للفكر الروسي في القرن العشرين.

في فترة الانتقال بين القرن التاسع عشر، والقرن العشرين، أدخل ماديون مثل ج. ف. بليخانوف (١٨٥٦ - ١٩١٨)، وماركسيون مثل ف. أ. لينين (١٨٧٠ - ١٩٢٤)، نظريات العلامات والوعي في كتاباتهم الفلسفية، كما فعل ذلك أولئك المثقفون الذين يشار إليهم باسم «الكانطيين المحدثين».

لكن ربما كانت أهم فترة بالنسبة لعلم العلامات الروسي، هي السنوات التي سبقت الثورة الروسية عام ١٩١٧ مباشرة.

عاد سيرجي كارسيفسكي (١٨٩٤ - ١٩٥٥)، وهو طالب كان قد حضر محاضرات سوسير في جنيف إلى موسكو عام ١٩١٧، وجلب معه مستودعًا من الأفكار التي وجدت مناخًا مواتيًا في أذهان أعضاء حلقة موسكو اللغوية (١٩١٥ - ١٩٢١).

وهذه الحلقة كان يرأسها رومان جاكبسون الشاب آنذاك - الذي كان يكتب الشعر أيضًا باسم مستعار، وهو الجاجروف - وكانت لها صلات بمنظمة أخرى.

حلقة موسكو اللغوية

كانت جمعية بتروجراد لدراسة اللغة الشعرية (أو OPOJAZ، ١٩١٦ - ١٩٣٠) مركزالشكلية الروسية، واشترك فيها بوريس إيخنبوم (١٨٨٦ - ١٩٥٩)، وفكتور شكلوفسكى (١٨٩٣ - ١٩٧١) ورومان جاكبسون مرة أخرى، وآخرون.

من الصعب تقديم تعريف جامع مانع للشكلية الروسية! فحتى اسمها ذاته اطلقه عليها أعداء الجماعة.

بالرغم من أن عمل جماعة بتروجراد لم يقتصر على الاهتمام بالشكل كما يمكن أن يدل اسمها، فإنها استكشفت الطبيعة الخاصة للأدب.

طوَّر هؤلاء المنظرون فهما للفصل الأدبى، يركز على أدبيته وقدرته على التغريب، وكلتاهما يبينان حدوده ككيان أدبى له طابع خاص.

بالمثل، بدأت حلقة موسكو فى بحث فكرة الوظيفة الجمالية الفريدة التى تكسب اللغة الشعرية طبيعتها الأصلية.

يمكن أن تشتمل بعض الاتصالات على العديد من العناصر التى تجعلها بنيات متعددة المستويات ومعقدة؛ إلا أنها يمكن أن تشتمل أيضاً على مكونات يعزى طبيعة عامة للاتصال.

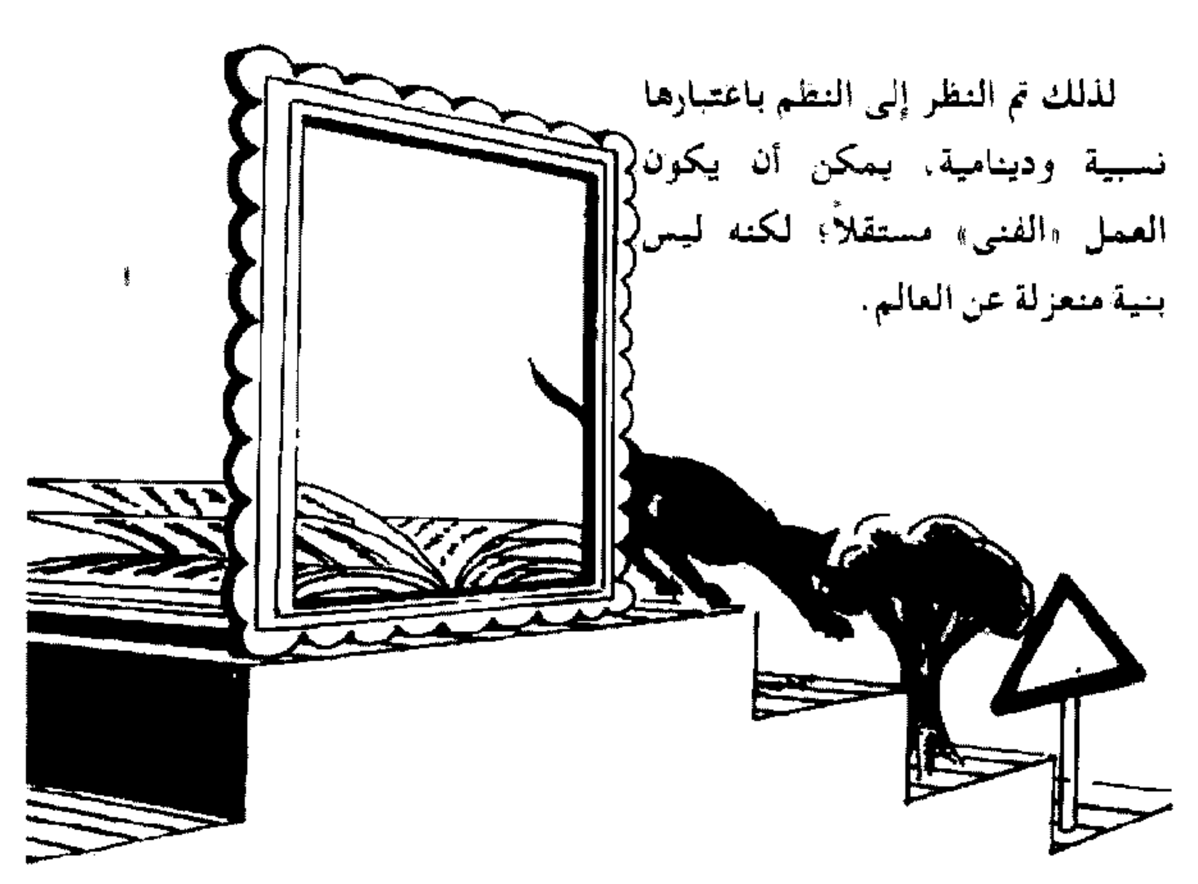
فى النصوص «الفنية»، يعتبر ذلك مكونًا «جماليًا» مهيمنًا. فالنصوص الفنية، مثل القصائد، يمكن أن يكون بها مكون إحالى يسمح لها بالإحالة إلى العالم؛ لكن القصيدة ليست وثيقة للتاريخ الثقافى أو العلاقات الاجتماعية، أو السيرة الشخصية للشاعر؛ بل بها جانب جمالى يمكننا أن نطلق عليه «شعريتها»، وهى ذلك الاستخدام للغة الذى يجعل منها قصيدة، لا نثراً.

هذه الأفكار اصطحبها جاكبسون معه عندما رحل عن روسيا إلى براغ عام ١٩٢٠، ولكنه احتفظ باتصالاته بزملائه الشكليين القدماء، وفى عام ١٩٢٨ نشر مع تنيانوف ثمانى دراسات بعنوان: قضايا فى دراسة اللغة، والأدب.

وفى هذا الكتاب، طوَّر جاكبسون، وتنيانوف فكرتهما عما يكوِّن «البنية». وبينما قال «البنيويون» من أمثال ليفى شتراوس، إن كل المنتجات الثقافية منظمة «نحويا»، مثل اللغة، نجد جاكبسون، وتنيانوف يعدان على أن «البنيات» تحتوى على قوانينها الخاصة، وليست مجرد قوانين لغوية.



لذلك تم النظر إلى النظم باعتبارها نسبية ودينامية، يمكن أن يكون العمل «الفنى» مستقلاً؛ لكنه ليس بنية منعزلة عن العالم.



شجب ذلك قدراً كبيراً من العمل الذى قام به الشكليون، الذين رأوا أن الأدب - بالرغم من أن له بنية مستقلة تسمى الأدبية - لا يجب أن يفهم فى ضوء إمكاناته الإحالية، أو مضامينه الاجتماعية، فهذه الإمكانات والمضامين يمكن أن تكون مشتركة بين الأدب، والبنيات الأخرى.

فى كتاب جاكبسون، وتنيانوف، ليس العمل «الفنى» فريداً فى تكوينه البنائى. فهو يتكون من نظام، وبنية مثل أى كيان علاماتى آخر، والفرق الوحيد أنه يغلب المكون «الجمالى» على نظامه.

يرى نظام الحكم الستالينى الذى صعد فى الثلاثينيات، أن مثل هذه الإدعاءات، يمكن أن تهدد نظرية «الفن» التى تقوم على النهوض بطموحات «الواقعية الاشتراكية».


ليس من قبيل المصادفة، أن علم
العلامات الروسى - الذى يرتبط إلى حد
ما تراث العشرينيات فى دراسة البنيات
- لم يظهر إلا بعد فترة ستالين، بداية من
أواخر الخمسينيات.
كان يورى لوتمان (١٩٢٢ - ١٩٩٣)
رائد نهضة علم العلامات فى
الاتحاد السوفيتى، فى الأصل
أستاذا للأدب متخصصا فى
الأعمال التى تحيط بالثورة
الديسمبرية» ضد
القيصرية عام ١٨٢٢.
لكن عملى عن نظرية الأدب صار
متميزاً باستخدام مصطلحات مثل
«اللغة»، «الشفرة»، «التحول الداخلى»
entropy، «الصوت» Noize، إلخ.
مثل زملائه فى موسكو ف. ف. إيفانوف، أ. أ. ريفزين،
وبوريس. أوسبنسكى (الذين أسسوا رابطة الترجمة
الآلية عام ١٩٥٥)، صار لوتيمان يتناول الثقافة من
خلال الطريقة المميزة التى تقوم بتحويل، ومعالجة
المعلومات من خلالها. وهو هنا يطبق نظرية المعلومات -
بداية من التطورات الأولى للحاسبات الآلية - على نظم
العلامات التى حظيت بالعناية القصوى عنده.



وضع كلود شانون نموذج اتصال مبتكر ليقدم فى شكل «رقمى»، كل الأجزاء التى تدخل فى صنع منتج «النظير الرقمى» Unalogue. ويعتبر مثل هذا الإجراء هجوماً جذرياً على الطرق التقليدية فى التفكير.

يمكننا أن نتصور الزمن على أنه وجه ساعة، كل مساحة بين الأرقام تمثل شيئًا ما بصورة تناظرية.

التمثيل الرقمى مختلف، فالساعة الرقمية تقول لك الوقت بالأرقام؛ لا توجد مساحة على الساعة الرقمية تناظر «خمس دقائق».

النظير الرقمى الذى يبدو كل قطعة ما (على سبيل المثال، محاضرة على جمهور، لوحة فى معرض ... إلخ) يمكن أن يوضح فى شكل رقمى (على سبيل المثال، كمصدر معلومات، ناقل، إشارة ... إلخ).

المنهج الرقمى عبارة عن طريقة تشغيل لليفى شتراوس فى تحليله لأسطورة أوديب، وذلك أيضاً ما واصل علماء العلامات السوفييت القيام به فى الستينيات. فى سلسلة من المدارس الصيفية فى جامعة تارتو ستيت Tartu State بدأت عام ١٩٦٤، حدد يورى لوتمان معالم نظرية فى الثقافة.



قد نعتقد أن هذا هجوم قاس على المنطق الإنسانى، لكننا نتخلص من هذا الاعتقاد عندما نعرف أن كل الثقافات تتميز بمستوى معرفة يتم نقله إلى الأعضاء الحاليين، والأعضاء الجدد لهذه الثقافة.

لكن الثقافة ليست مجرد مستودع، فعند علماء العلامات السوفييت فى الستينيات، والسبعينيات، تعتبر الثقافة أيضًا «نظام احتذاء ثانويًا»، أى أنها تقدم نموذجًا متواصلاً للمعرفة البشرية، والتفاعل البشرى.

أما «نظام الاحتذاء الأولى»: فهو القدرة اللغوية التى تعتبر نظامًا طبيعيًا بالنسبة لكل الأنظمة الأخرى، ويشار إليها بـ«اللغة الطبيعية».



وبما أن الثقافة تقوم على اللغة الطبيعية، يرى لوتمان أن أحد طرق تصنيف الثقافة تكمن فى إضفائها الطابع التصورى على العلامة.

لاحظ أن مزج لوتمان بين نظرية المعلومات، وعلم علامات الثقافة، يمثل تكهنًا مذهلاً بنظرية الحيز السيرى cy-berspare الكامنة.



أما عصر التنوير، فيتميز بالإيمان بالعقل، والتفادى العقلانى لكل تصنت، يتم وضع «الطبيعى» فى مكانة أعلى من مكانة «الثقافى» (أى «غير الطبيعى» أو المصطنع، كما يتمثل فى التركيبات المعروفة باسم العلامات)



فى الواقع، هناك هرمية للدلالة، بداية من أدنى شىء، وصعوداً حتى تلك الأشياء التى تدل بنجاح لا مثيل له على النبل، والقوة، والقداسة، والحكمة.


يرى لوتمان أن علم العلامات لا يمثل مجرد منهج علمى، بل ويشكل وعى أواخر القرن العشرين أيضاً.
لكن لا يجب علينا أن ننسى أن «امتلاك اللغة الطبيعية، ونظم العلامات التى تتكون حول هذه اللغة ينفرد به الإنسان» على حد قول ف. ف. إيفانوف.
فى مقاله بعنوان: «بأى وجه من الوجوه تعتبر اللغة» «نظام احتذاء أوليًا؟» (١٩٨٨)، يوضح سيبوك مكانة «اللغة» فى تاريخ البشر، وإنتاجية العلامات.
استخدامى للملاحظات فكسكول على علم الأحياء، ينتج نظرية سيرنطيقية شديدة اللزوم، لدرجة أننا لا يمكننا أن نفهم تطور اللغة بدونها.

لم تظهر العلامات اللفظية إلا عند فصيلة البشر؛ فالقرود ، على سبيل المثال لا تستطيع الكلام، لكن البشر يمتلكون أكثر من مجرد اللفظي العلاماتي البشرى، فهم يمتلكون اللالفظي العلاماتي الحيواني أيضاً، وكما يوضح سيبوك.

يصف الباحثون السوفييت النوع الأول بأنه «أولى»، مع أنه ثانوى فى الواقع.

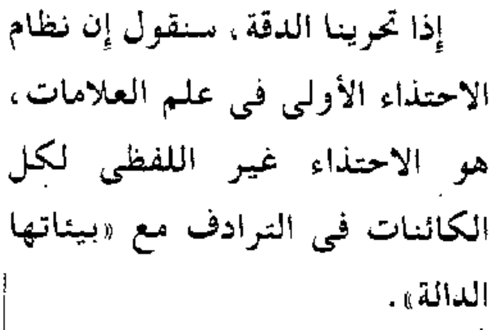
تتبع أنصار نظرية التطور حجم المخ المتوسع عند البشر الأوائل، بداية من الإنسان الرشيق hoamo habilis والإنسان المنتصب homo erectus حتى الإنسان العاقل homo sapiens، ويدل مدى النشاطات، والأدوات التي استخدمها كل منهم على أنهم يمتلكون أيضاً القدرة على التمييز، وبالتالي اللغة.

لكن البشر الأوائل لم يتحدثوا إلى بعضهم بعضاً.

يبدو أن أذهان البشر الأوائل كانت متطورة بدرجة كافية، تمكنهم من أن يعالجوا أنواعاً مختلفة من المعلومات. ففي عملياتهم الذهنية، يمكنهم أن يأووا شذرات متميزة من المعلومات، وتوضع كل شذرة في أجزاء متميزة بالطريقة التي تصفها بعض نظريات اللغة.

كانت هناك قدرة متطورة على اللغة؛ إلا أنها لم تكف مقترنة بالكلام. لذلك فإن اللغة تطورت بهدف الاحتذاء المعرفى، وليس بهدف مقايضة الرسائل التواصلية وبذلك، يمكننا أن نفهم اللغة على أنها معالجة ذهنية، وليست أداة للتواصل مع البشر الآخرين.

كان التواصل بين البشر الأوائل يتم عبر وسائل غير لفظية؛ وفى طور لاحق، تم اختيار اللغة لتقوم بالوظيفة التواصلية اللفظية.





ومع ذلك، يركز الصدر الأعظم من الدراسة فى علم العلامات، خاصة فى أوربا، على البشر وعلاقاتهم بمنتجات التواصل (أى علاقة اللغة/ الكلام بالثقافة، أو علاقة نظم الاحتذاء «الثانوية» بالنظم «الثلاثية»).

ينبع قدر كبير من العمل المعاصر المهم الذى يتناول القراء، والنصوص فى علم العلامات من أعمال المنظرين التى تجتاز تقاليد متباينة.

رومان جاكبسون، مدرسة براغ وما بعدها

كان جاكبسون تلميذاً لفقيه اللغة الروسى بيقولاى تروتسكوى (١٨٩٠ - ١٩٣٩)، وهو من الذين أثروا تأثيراً كبيراً على علم العلامات فى القرن العشرين، كما يتضح من إشاراتنا العديدة إليه فى هذا الكتاب.

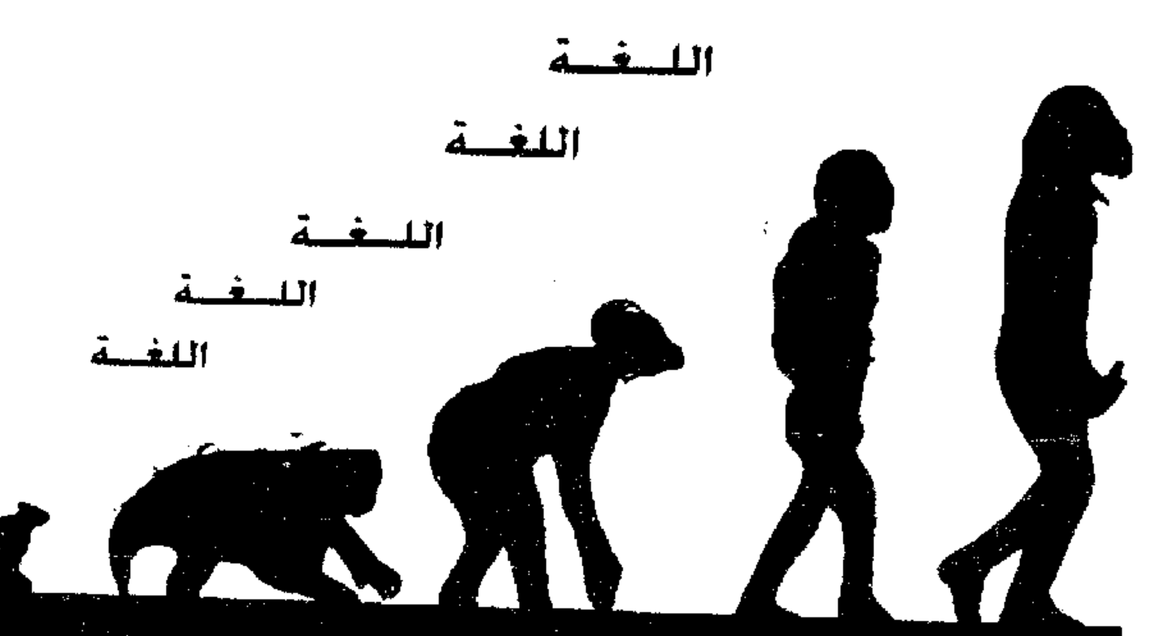
يعبر أمبرتو إيكو عن ذلك قائلاً: «دعونى افترض أن السبب فى أن جاكبسون لم يكتب كتاباً عن علم العلامات، هو أن وجوده العلمى ككل مثال حى على البحث عن علم العلامات».



من بين الأفكار الأساسية فى علم العلامات عند جاكبسون، ورفاقه فكرة «البنية»، وكانوا يعتبرونها «تطورية»، وليست منغلقة، ومنعزلة.

يرى الفيلسوف الألمانى فيلهلم فون هومبولدت (١٧٦٧ - ١٨٣٥)، أنه يجب النظر إلى اللغة كعملية energia، لا كمنتج نهائى ergon.

وكان لذلك تأثير كبير على مدرسة براغ، كما كان هناك تأثير مماثل لأبحاث جاكبسون / تينيانوف لعام ١٩٢٨ التى أكدت، أنه يجب دراسة النظم على أنها كيانات قابلة للتغير.



ظلت أعمال جاكبسون دومًا تظهر فهمًا لإنتاج الدلالة بأنها تتكون من بنيات معقدة، ومتداخلة.



واجتاز عمله تقاليد تتراوح من ميوله السوسيرية المبكرة، و«بنيوية» مدرسة براغ إلى نظرية المعلومات، واكتشافه لبيرس.

فلنضرب مثلاً بفكرة سوسير عن «اعتباطية» العلامة الغوية . يرى بيرس أننا يمكننا أن نقول أن هذا النوع من العلامات رمز ، ولكن جاكبسون يظهر أنها يمكن أن تكون أيقونة ومؤشراً كذلك . . فلنضرب مثلاً . . .



والأهم من ذلك ، أن العلامة اللغوية يمكن أن تكون مؤشراً ، لأنها ترتبط بالمتحدث بعلاقة سببية . واستعار جاكبسون مصطلح «محولات» shifters من العالم اللغوى أوتو جسبرسن (١٨٦٠ - ١٩٤٣) ، ليطلقه علم المؤشرات من هذا النوع .

وهذه العناصر - المعروفة أيضاً باسم الفئات الإشارية deictic categeries - تشير إلى سبب القول ، وسياقه



كما يلاحظ بنفينست، كلمة «أنا» تختلف فى كل مرة يتم نطقها، لأنه يجب علينا أن نفهم من يستخدم «أنا» فى كل مرة، حتى نفهم القول الواردة فيه.

هذه هى خاصية المحول، فهى تحول التأكيد نحو موقف الكلام. فكر فى كل المفردات اللغوية التى تقوم بذلك.

وهلم جرا

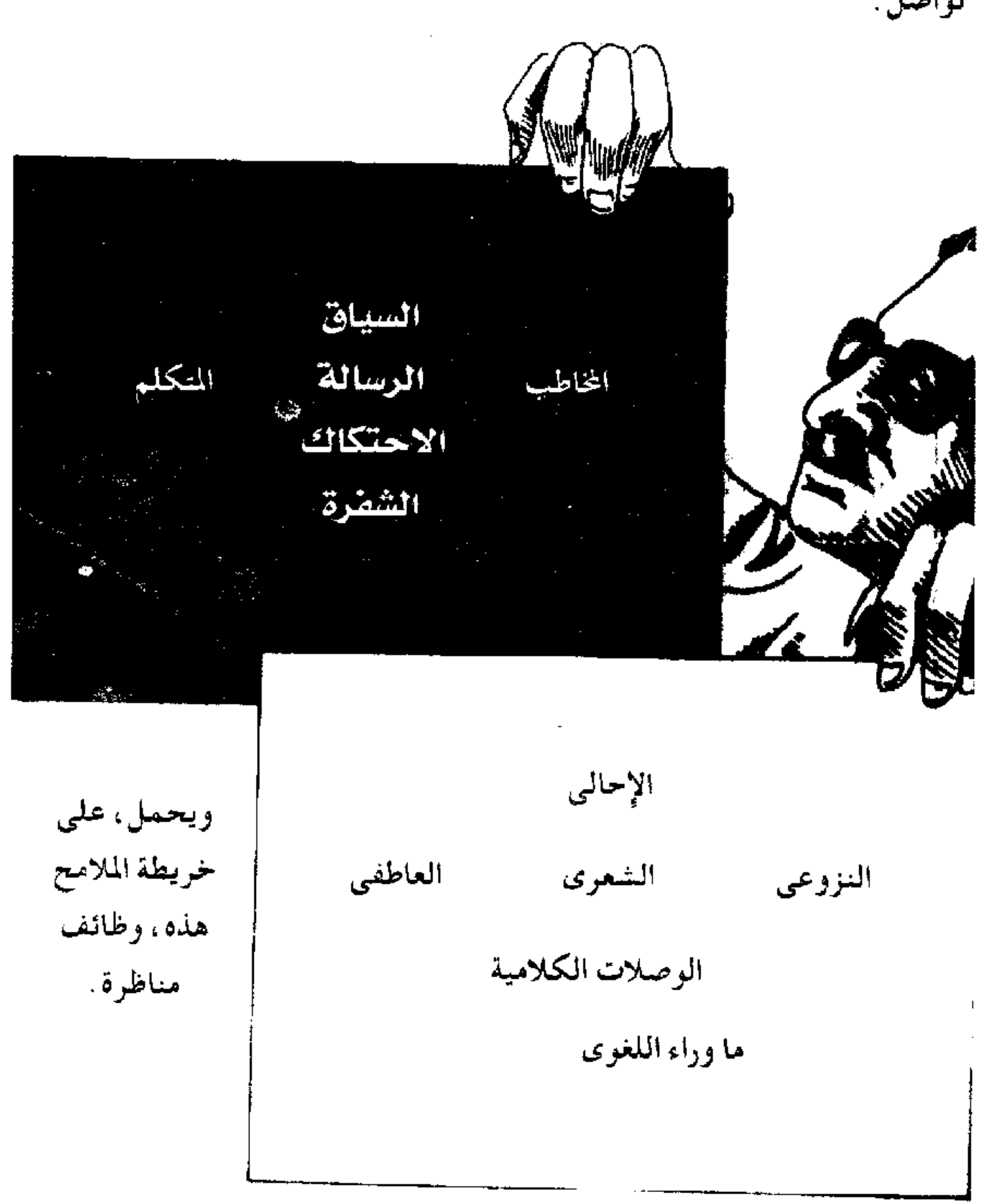
كل ذلك يتطلب معرفة مقام القول، وبالتالى فكلهم حساس سياقيًا.

لكنهم يجسدون ما يطلق عليه جاكبسون الوظيفة الإحالية.

بمعنى أنهم من المحتمل أن يظهروا فى تواصل يتمثل غرضه الأساسى فى الإحالة إلى شىء ما فى العالم.

في مقالة، ربما كانت أشهرمقالاته، يطور جاكبسون هذا الفهم للدلالة الذى يصطبغ بصبغة مدرسة براغ، بأن يدمجها بنظرية المعلومات حتى يكون نموذجاً عاماً لحدث التواصل.

يستبدل كلمتى الشفرة، والرسالة بكلمتى اللغة والكلام، ويحدد معالم أى تواصل:



ويحمل، على خريطة الملامح هذه، وظائف مناظرة.

وهكذا، تغلب الوظيفة العاطفية emotive على التواصل عندما يكون هناك تركيز على المتكلم، على سبيل المثال، صيغ التعجب مثل Tut; Tut; التى تعبر عن فزع المتكلم، وهى نفعية فى الأساس.





تغلب الوظيفة التزوعية conative عندما يكون هناك تركيز على المخاطب، على سبيل المثال، أو أمرمثل «توقف!».

تغلب وظيفة الوصلات الكلامية عندما يكون هناك تركيز على الاحتكاك، ويكون فى ذلك فى العادة بهدف تأسيس التواصل أو الحفاظ عليه، على سبيل المثال، «إدينى ودانك»، أو «سامعنى؟».



تغلب وظيفة ما وراء اللغوية -Meta lingual عندما يكون هناك تركيز على الشفرة، على سبيل المثال، للتأكد ما إذا كانت هذه الشفرة تعمل أم لا : «هل تعرف ما القصد؟».

وكما رأينا، تبدأ الوظيفة الإحالية referential فى العمل عندما يكون هناك تركيز على السياق (خاصة عندما توجد المحولات).



تغلب الوظيفة الشعرية عندما يكون هناك تركيز على الرسالة، على سبيل المثال، شعار الحملة «أحب أيك» تواصل سياسى؛ لكنه يتميز بالإيجاز الشديد، ويجعل «الحب»، وأيزنهاوز متساويين في المعنى على نحو «شعرى».

فى الواقع، هذه هى قيمة نموذج جاكبسون: إنه مرن ويوضح كيف أن التواصل يمكن أن تكون له مستويات متميزة، يمكن أن تغلب فى أحيان.

يمكن أن تتغير الوظيفة الغالبة بتغير الموقف، حتى لو ظلت مكوناتها كما هى.
على سبيل المثال، استخدم الملاكم البريطانى الشهير المحبوب فرانك برونو مثالنا ما وراء اللغوى - «هل تعرف ما أقصد؟» - كثيراً جداً، لدرجة أنه صار الآن نافلة كلامية catch-phras

تستخدم كوصلة كلامية للحفاظ على التواصل.

هل تعرف ما أقصد؟

كان لنموذج جاكبسون آثار هائلة على علم العلامات، وذلك لاهتمامه بدور المتكلم، والمخاطب، ولنظرته للتواصل على أنه نتاج هرمية تركيبية للوظائف.

إن عمل يان موكاروفسكي عن الوظيفة الجمالية له ضرورات مماثلة، وبالتالي أهمية مماثلة.



وبالعكس، يرى مثل جاكبسون، أن هذه الوظيفة يمكن أن تغلب على الأشياء «الجمالية» ؛ لكنها ليست الوظيفة الوحيدة الموجودة. ففي «الأدب» على سبيل المثال، هناك الوظيفة التواصلية أيضاً.

في تراث مدرسة براغ، يصر موكاروفسكي على أن الوظيفة الجمالية ليست منفصلة عن مجالات الحياة الأخرى، بالرغم من أنها، في الشيء الذى يفترض أنه «جمالى»، تشكل ما يقع داخل مجالها. ويمكن تقسم هذه الوظيفة إلى معايير norms ، وقيم values القيمة الجمالية التى يكنها الأفراد فى العادة، يتم توطيدها من خلال المعيار، علاوة على أن المؤسسات تغرزها.



«يخلق المجتمع مؤسساته، وهيئاته التى يؤثر بها فى القيمة الجمالية من خلال تنظيم الأعمال الفنية أو تقييمها، وتشمل هذه المؤسسات النقد الفنى، الخبرة العملية، التدريب الفنى (بما فيه المدارس، والمؤسسات الفنية التى تهدف إلى تنمية التأمل السلبى).

هذا فهم حديث جداً لـ «الفن» خاصة عندما نعرف أن موكاروفسكي كتب ذلك عام ١٩٣٦ ، عندما كان منظرو الثقافة الشعبية فى الغرب، والأيديولوجيون السوفييت في الشرق يرفضون أن يعتبروا «الفن» أكثر من مجرد كيان سامى، وروحانى على نحو أصيل.

والأهم من ذلك في نظر موكاروفسكي، أن العمل «الفني» علامة، والتالي واقع اجتماعي. وكعلامة، له وظيفة تواصلية ممكنة، فهو يرمز لشيء ما، وهوكما يقول جاكبسون ينبعث من متكلم إلى مخاطب.



بينما يمكن للعمل أن يشكل القيم «خارج الجمالية» بطريقة معينة، مما يخلق نوعًا من الوحدة، يمكن للقارىء أن يجبر قيمة على التفاعل مع قيم العمل.

كما يمتلك القارئ أيضًا قيمًا تتجاوز تلك القيم الجمالية.

لم يمعن موكاروفسكى التفكير طويلاً فيما يحدث عندما يتم هذا التفاعل، ولكن تلميذه فى مدرسة براغ، فيليكس فوديكا (١٩٠ - ١٩٧٤)، قام بهذه المهمة، ونادى بالتركيز على.

يرى فوديكا أن المكون الأساسى لتفاعل القارىء العلاماتى مع الفص، يتكون مما أسماه الفيلسوف البولندى رومان إنجاردن (١٨٩٣ - ١٩٧٠) «التجسيد» concretization.

* كيف يتم إدراك العمل؟
* ما القيم التى تنسب إليه؟
* كيف يبدو فى عيون من يحسون به جماليًا؟
* ما الروابط الدلالية التى يستحضرها؟
* فى أى بيئة اجتماعية يوجد؟
* فى أى نظام هرمى.

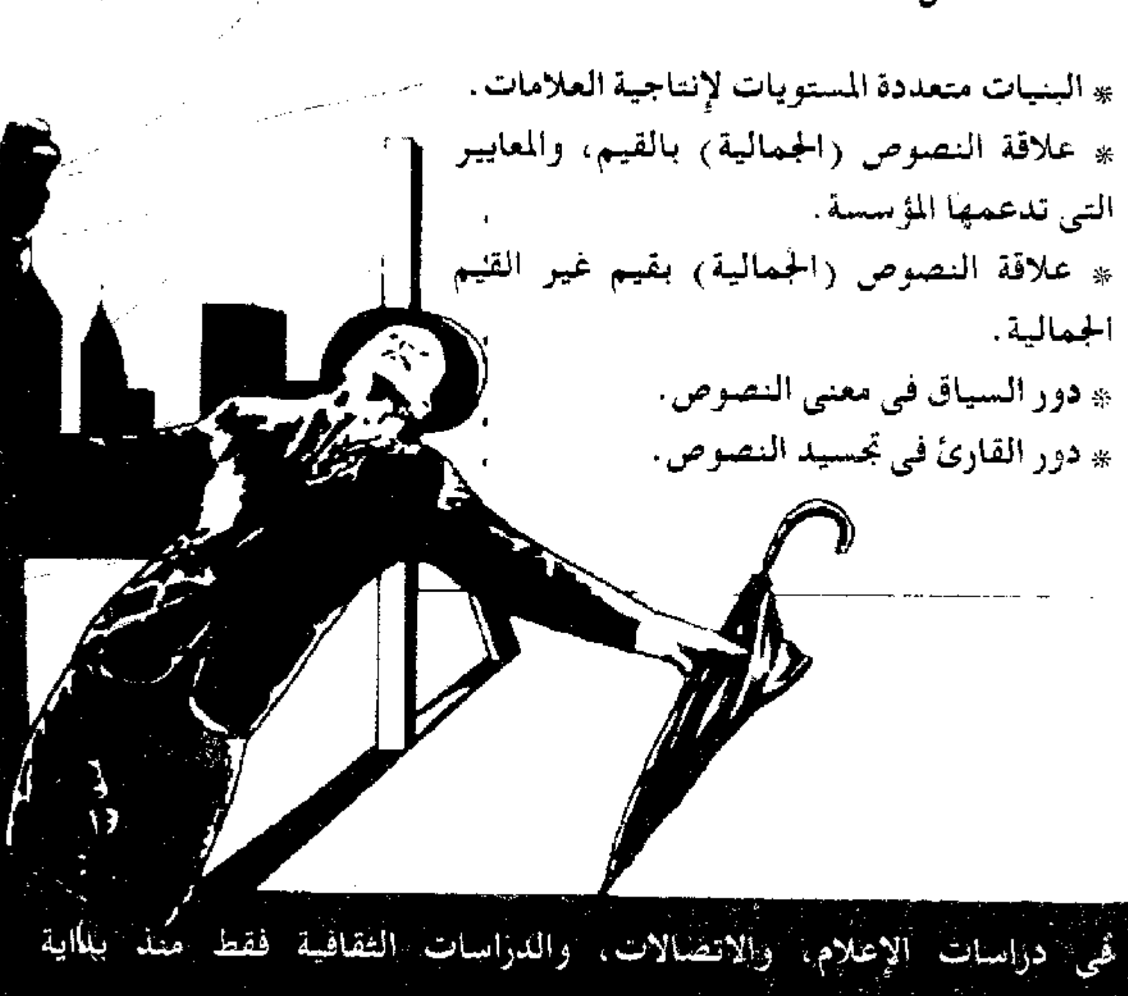
«التجسيد» عبارة عن تحقيق القارىء للنص؛ ففى جملة مثل «وقف الرجل فى الركن»، سيجسد القارئ النص بأن يكون فكرة ما عن عمر الرجل، وحجمه، ولون بشرته، وملابسه، وملامح وجهه، وعواطفه ... إلخ، وكذلك طبيعة الركن محل الاعتبار، وطريقة وقوفه بالضبط.

يرى فوديكا أن التجسيدات لا يمليها العمل ببساطة؛ فالعمل كعلامة ـ كما يؤكد موكاروفسكي ـ اجتماعي بطبعه، ويستحضر معايير، وقيما في ذهن القارئ الذي يحمل بدوره مجموعة من القيم «خارج الجمالية».

لذلك فإن التجسيد يتم على أساس حاجات القارئ الاجتماعية، ما الذي يجلبه القارىء للنص نتيجة لمشاركته في تفاعل معقد بين القيم، والمعايير الجمالية، والقيم، والمعايير خارج الجمالية.

عمل جاكبسون ومدرسة براغ شديد الأهمية عندما يؤكد على السياق الاجتماعي، فهذا العمل يتكهن بالعديد من الاهتمامات المعاصرة في علم العلامات، مثل:

* البنيات متعددة المستويات لإنتاجية العلامات.
* علاقة النصوص (الجمالية) بالقيم، والمعايير التي تدعمها المؤسسة.
* علاقة النصوص (الجمالية) بقيم غير القيم الجمالية.
* دور السياق في معنى النصوص.
* دور القارئ في تجسيد النصوص.



في دراسات الإعلام، والاتصالات، والدراسات الثقافية فقط منذ بداية الثمانينيات، كان هناك بالمثل اهتمام ساحق بالقارىء، وعملية القراءة.

وهناك عالم علامات رائد قام مثل جاكبسون باجتياز تقاليد متباينة، وساهم بالكثير في المناظرات حول هذه القضايا.

تضييق نطاق إنتاجية العلامات

أمبرتو إيكو (ولد عام ١٩٣٢) مؤرخ للعصور الوسطى، وكاتب مقالات، وروائى، وعلاوة على ذلك، عالم علامات.

يحتوى عمله على توفيق مبدع بين كل مدارس علم العلامات فى القرن العشرين، ويستند فى ذلك إلى معرفة زاخرة بالتراث الكلاسكى لدراسة العلامات.

وبالرغم من تجنب إيكو للنزعة المدرسية، فإنه لم يغرق أسلوبه بالمصطلحات العلاماتية.

فى مقالته المشهورة «شذرات» (١٩٥٩)، تتكشف حضارة قطبية فى فترة ما بعد الرسل، وتأول المنتجات بداية من المنطقة القطبية حتى الجنوب:

«عندما هنا سطر ـ وللأسف، السطر المقروء الوحيد ـ لما كان أغنية تدين الاهتمامات الأرضية: «أنه عالم مادى»، بعد هذا السطر مباشرة، نفاجأ بسطور شذرة أخرى، وهى على ما يبدو من ترنيمة استعاطفية أو ترنيمة خصوبة للطبيعة: «أغنى فى المطر، فقط أغنى فى المطر؛ أنه شعور مجيد...» من السهل علينا أن نتخيل أن هذه الأغنية تغنيها جوقة من الشابات: فالكلمات الرقيقة تستحضر صورة الغدراوات اللاتى يرتدين أحجبة بيضاء، ويرقصن فى موسم بذر البذور فى نوع من التهجد».



من الواضح أن الحضارة القطبية ـ بدون دليل كاف ـ تبدأ في مشروع تأويل مفرط أخرق.

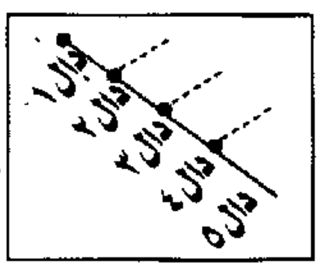
ويحذرنا إيكو من هذا الخطر في كل أعماله.

في نفس الفترة التي كتب فيها مقالته «شذرات»، كان إيكو يكتب أيضًا عن تصوره لـ «العمل المفتوح»، وهو متأثر في ذلك بنظرية المعلومات للوهلة الأولى. يبدو ذلك كمحاولة للتمييز بين الثقافة «الرفيعة»، والثقافة «الوضيعة»، حيث أنه يقرن «المفتوح» «بالحديث»، و«المغلق» بـ «الشعبي»، الأمر الذي يجعله يشبه أيضًا محاولات أخرى تمت في فرنسا في الستينيات (المكتوب / المقروء عند بارت)، وفي بريطانيا («النص الواقعي الكلاسكي» / النص الثوري عند كولن ماككيب)، وفي ألمانيا (عند وولفجانج إيزر).

لكن صياغة إيكو مختلفة نوعًا.



النص «المغلق» يسمح بمجموعة كبيرة من التأويلات الممكنة عند كل نقطة، بالرغم من أنه محكوم بمنطق شديد الصرامة يبدو مثل:

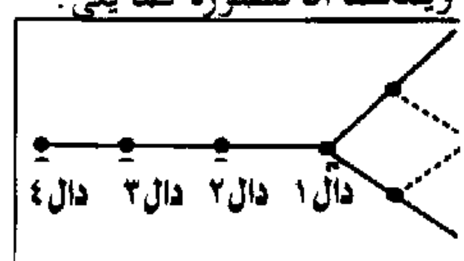


يقدم المتكلم (ليس المؤلف، بل بنية النص ذاته) للمخاطب مواقف ليعمل فيها عقله، لكنه في النهاية يحبس هذه المواقف (مثل المفاتيح التي تؤدي في النهاية إلى فك عقدة الرواية البوليسية).



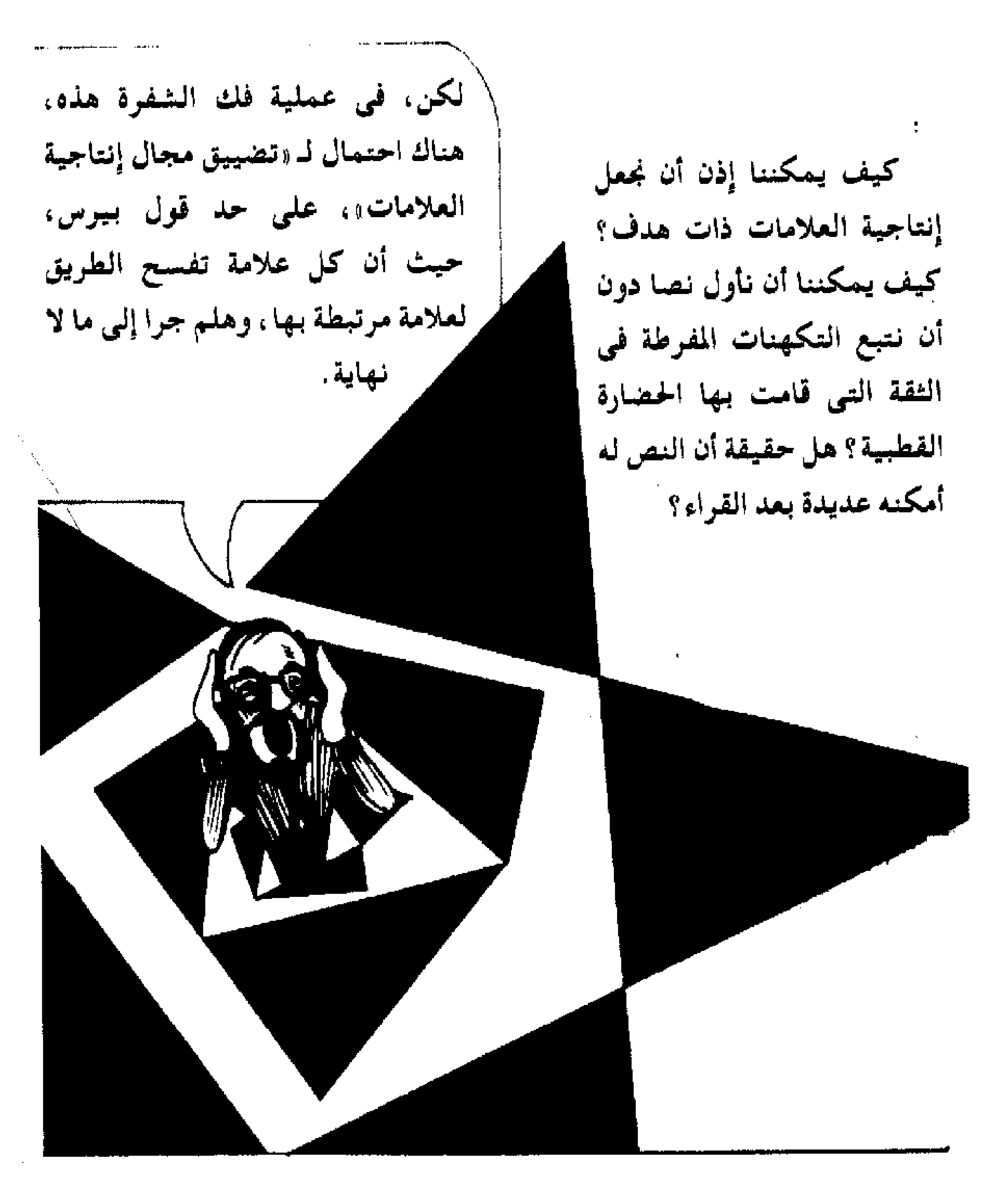


أما النص «المفتوح»، فيفترض «قارئا نموذجيا - يمكننا أن نحدد ملامح قارئ عوليس الجيد من خلال النص ذاته - ويمكننا أن نتصوره كما يلي:



والمتكلم هنا يقود المخاطب، ثم يجعله يعمل فكرة، ويقيم/ يعيد تقييم الحركات السابقة من هذه النقطة.

يرى إيكو أن ما يحدث عند قراءة نص ما لا يختلف عن عملية «التجسيد»، فيمر القارئ عبر سلسلة من الحركات حتى يفك شفرة العلامات.



كيف يمكننا إذن أن نجعل إنتاجية العلامات ذات هدف؟ كيف يمكننا أن نأول نصا دون أن نتبع التكهنات المفرطة في الثقة التي قامت بها الحضارة القطبية؟ هل حقيقة أن النص له أمكنه عديدة بعد القراء؟

يتناول إيكو هذه القضايا، بأن يقارن بيرس بالهرمسية (الكيمياء السحرية أو علم الغيب) في عصر النهضة. فتقول الهرمسية: إن كل رمز يرتبط برمز مشابه، وهلم جرا.

على سبيل المثال، اعتقد بعض الهرمسيين أن نبات خصى الثعلب orchis له شكل يشبه خصيتي الإنسان (واسمه مشتق من الكلمة اليونانية Orkhis = الخصيتين)، لذلك فإن أي عملية تجرى على هذا النبات وتحقق نتيجة، تحقق أيضًا نتيجة إذا أجريت على الإنسان.

يمكن أن يكون ذلك مؤلمًا، ولكن «خصيتي» خصى الثعلب، وخصيتي الإنسان تطورتا لتحقق أهدافًا مختلفة تمامًا، فهما متمايزان من الناحية الوراثية، حتى لو بدتا متشابهتين.

يرى بيرس أن العادة هي «التي تلزمنا بناء على مقدمات معينة، أن نتوصل إلى نتيجة ما دون الأخرى»، وهي «مركبة أو مكتسبة».

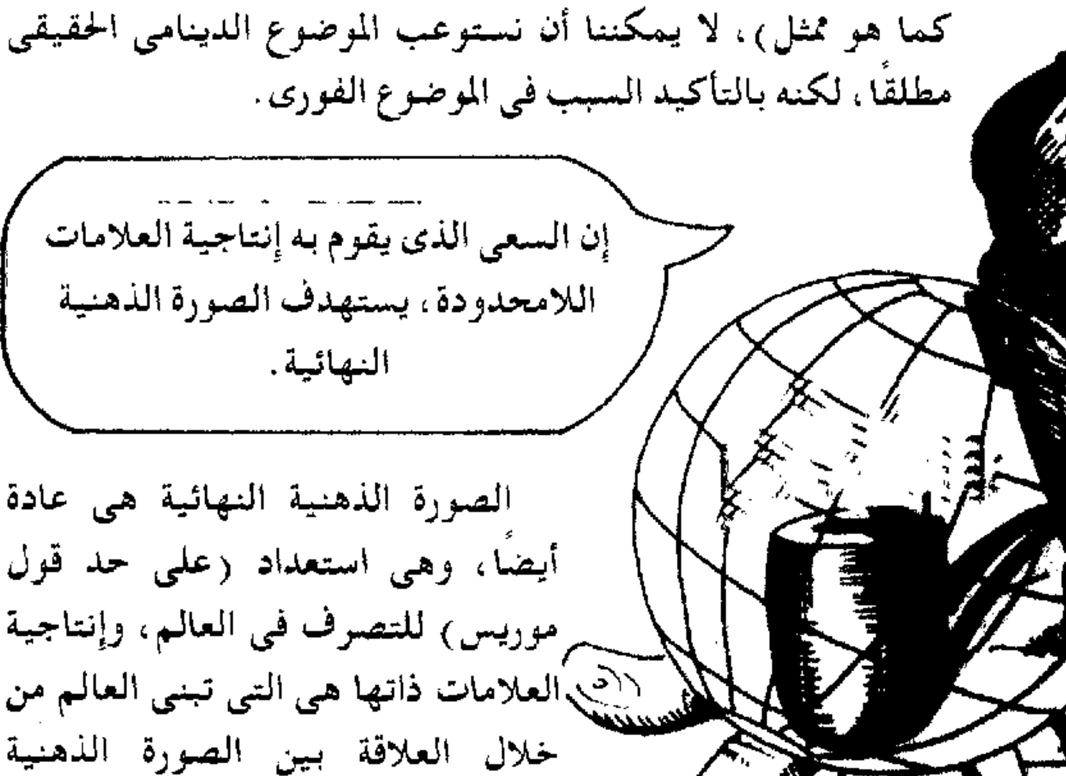


كما رأينا، ترتبط العادة بالصورة الذهنية للعلامة، التى تعتبر فى حد ذاتها جزءاً من مجال الثالثية أو إعمال الفكر، وبخلاف الاختلاف المرجأ عند دريدا، تتم إنتاجية العلامات غير المقيدة عند بيرس من أجل هدف نهائى، وهو الوصول إلى ما ترمز له العلامة.

وكما يوضح إيكو، يمكن أن تدل إنتاجية العلامات على الانتقال من صورة ذهنية ما إلى أخرى، ولكن بيرس يرى أن هناك هدفاً وراء ذلك.

لا يحد الارتباط بين العلامات بصورة اعتباطية أو فوضوية؛ فهذا الارتباط يسترشد بوسائل «معتادة» التى من خلالها نقوم، نحن مجمع البشر، باستخلاص نتائج.

تشمل العلامة على ممثل: عن طريق صورة ذهنية تولد موضوعاً فورياً (الموضوع كما هو ممثل)، لا يمكننا أن نستوعب الموضوع الدينامى الحقيقى مطلقاً، لكنه بالتأكيد السبب فى الموضوع الفورى.



الصورة الذهنية النهائية هى عادة أيضاً، وهى استعداد (على حد قول موريس) للتصرف فى العالم، وإنتاجية العلامات ذاتها هى التى تبنى العالم من خلال العلاقة بين الصورة الذهنية الفورية، والصورة الذهنية النهائية.

الواقعى (الموضوع) هو ما تنتهى إليه المعلومات وإعمال الفكر، أى أن الواقعى هو المعنى الذاتى البينى intersubjective meaning الذى يتوصل إليه مجتمع ما فى إنتاجية الدلالة.

إحدى الطرق للتفكير فى هذا المجتمع، يمكن أن تكون فكرة المستنبت البحثى لإنتاجية العلامة.



يرى إيكو أنه يجب على علم العلامات الجاد أن يستأصل التأويلات الفاسدة حتى يؤسس مبادئ التأويلات التى تنبع من إنتاجية العلامات الناجحة، التى ربما تحط فى النهاية على الصورة الذهنية النهائية.



من المحتمل أنه عندما نستخدم علم العلامات بفطنة كافية، يمكن أن يصير هذا العلم أداة تنبؤ.

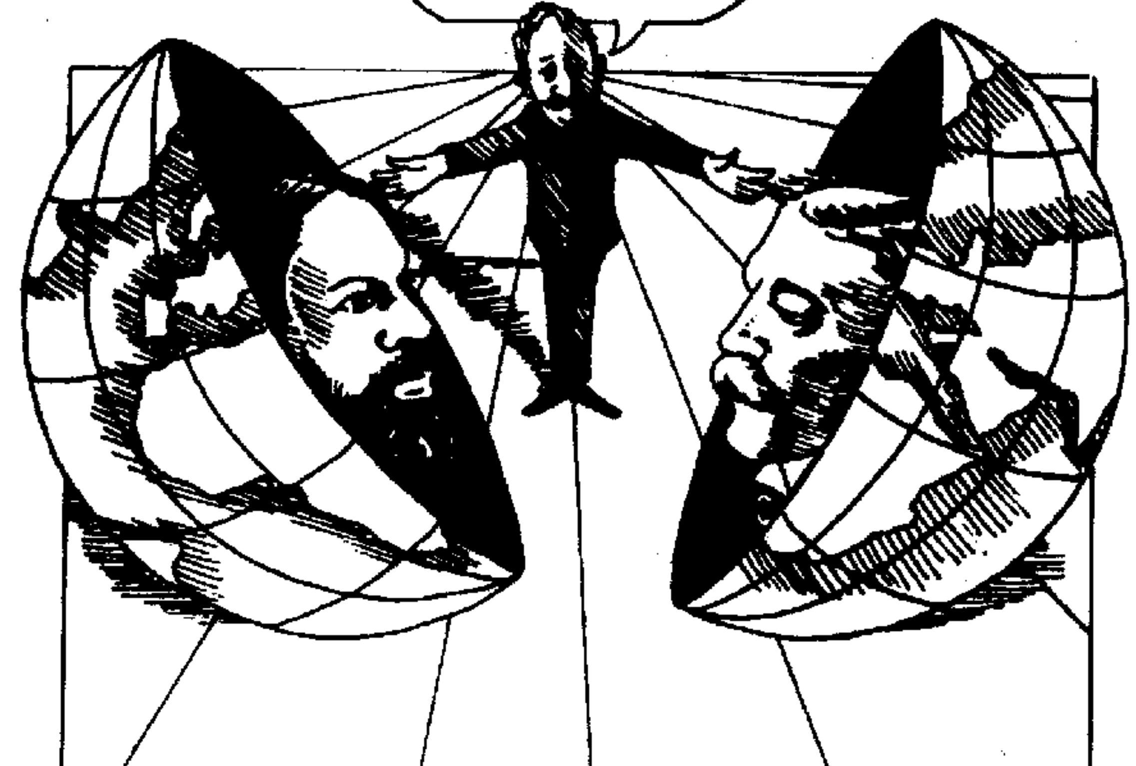
جسد التراث السوسيرى فيعلم العلامات ما يمكن أن نطلق عليه منظوراً «اسمياً»، فهو يقول: إننا لا نستطيع أن نتوصل إلى عالم الواقع لأن كل ما يصلنا ينقل إلينا من خلال العلامات.

فجان بودريلار (وُلد عام ١٩٢٩) كمفكر يتكون بواسطة التراث الاسمي.

تلك الكائنات التى تبدو حقيقية، مثل الحاجة البشرية، «وقيمة الاستخدام» عند ماركس وحتى الشمس تثبت ببساطة عدم وجود علاقات التبادل الخالص.



كما رأينا، يعتقد المنظر الروسى لوتمان أن الحاضر يتميز بالوعى العلاماتى.



ولكننا سنقصر إذا أنهينا هذا الكتاب دون أن نوضح بإيجاز أن فعل التحليل العلاماتى هو فعل فاعلية agency فى الواقع، ويغير عالم إنتاجية العلامات أو يساهم فيه على وجه الإمكان.

يكفينا مثالان

وتستقبلهما من بريطانيا، وهى دولة لم تساهم حتى الآن بالقدر الكثير فى علم العلامات.

علم العلامات الاجتماعى

نبع علم العلامات الاجتماعى من أعمال العالم اللغوى البريطانى م. أ. ك. هاليداى (وُلد عام ١٩٢٥)، وطوَّره منظرون فى بريطانيا، وأستراليا يستندون فى الغالب على علم اللغة أو الدراسة الأدبية، ووجدوا أنفسهم فى أقسام مكرسة للدراسات الإعلامية، والثقافية فى الجامعات.

لا يعتقد هاليداى أن الفجوة بين اللغة والكلام مطلقة، كما يعتقد سوسير. فهاليداى يؤكد أهمية أفعال الكلام، كما فعل فولوشينوف الذى انتقد سوسير فى أواخر العشرينات على التركيز على اللغة.



يرى هاليداى أن تطور لغة الأطفال هى عملية «تعلم كيفية نقل المعنى»، ولا يختلف ذلك عن فكرة إيكو، بأن البالغ الذى اكتسب قدرات فك الشفرة، يمتلك قاموسا «داخليا» (مليئا بالكلمات)، ودائرة معارف (مليئة بالوقائع)، وهما وجهان لعملة واحدة فى الواقع.

يجب علينا أن نعتبر الطفل مشاركًا إيجابيًا فى إنتاج نظام المعنى، بدلاً من أن نعتبره متلقيًا سلبيًا للقواعد النحوية.

لذلك فإن دراسة اكتساب الأطفال للغة (ومقاومتهم لها) على هذا الأساس، ستكشف لنا الكثير عن التوقعات البشرية للنظم العلاماتية، وللدوافع وراء إسناد المعنى، وخلقه.

يتكون العمل العلاماتى الاجتماعى لجنتر كريس (وُلد عام ١٩٤٠) فى الغالب من تحليل مفصل لاستجابات الأطفال الصغار للنصوص للشفوية، والمكتوبة، والبصرية، ولخلقهم لها.

يعتقد كريس أن هناك علاقة «تحفيز» بين الدال (فى مصطلحات سوسير) ومستخدم العلامة.

ناقش العديد من علماء العلامات (على سبيل المثال، بنفينست) علاقات «التحفيز»، لكنها استهدفت مفهوم «الاعتباطية». فالعلامة المحفزة بها فى العادة علاقة وثيقة بين الدال، والمدلول ـ وهى ليست علاقة اعتباطية ـ، كما فى علاقة التشابه التى نجدها فى الأيقونة عند بيرس.

ما يقوم به كريس مختلف.

خذ هذا الرسم الذى رسمه طفل عمره ثلاث سنوات.

بالنسبة للطفل، يمثل هذا الرسم سيارة، وعندما كان جالساً على حجر والده ويرسم، علق قائلاً: «هل تريد أن تشاهدنى؟... هاجم عجلتان... وعجلتان فى المؤخرة، وعجلتان هنا... يا لها من عجلة عجيبة»!



نعرف ما نفعل عندما نرى عربة رسمها شخص له قامة طفل عمره ٣ سنوات، وندرك أن السيارة = عجلات (تمثلها هذه الدوائر)، حتى داخل المركبة، يتركز عمل السائق على عجلة (القيادة).

لذلك فإن التحفيز علاقة بين مستخدم العلامة / صانع العلامة، والوسائل التى يستخدمها عندما يجرى التمثيل.

من هذا المنظور، يمكننا أن نستفيد الكثير، فدراسة العلاقة الكلية للدلالة - لماذا يستخدم الأطفال دوال معينة فى خلق العلامات ؟، وبما يتكون منظورهم - يجب أن تمكن الباحث من تخمين الطريقة التى سيكون بها البالغ المعنى.

يمكن أن يتعلم الأطفال فى عمر مبكر، أن يتبينوا (وحتى يخلقوا) النصوص فى أنواع دلالية معينة. وبالتالى، فإن مكونات هذه النصوص النوعية يمكن أن تكفى لإثارة التوقعات عن البالغين، الأمر الذى سيحدد الطريقة التى يقومون بها بفك شفرة التواصل.

إن العمل العلاماتى الاجتماعى لكريس فى مجال معرفة القراءة ، والكتابة، وما قبل معرفة القراءة والكتابة، يفيدنا فى التكهن باستراتيجيات فك الشفرات فى إنتاجية العلامات الحالية، والمستقبلية.

الحلول العلاماتية

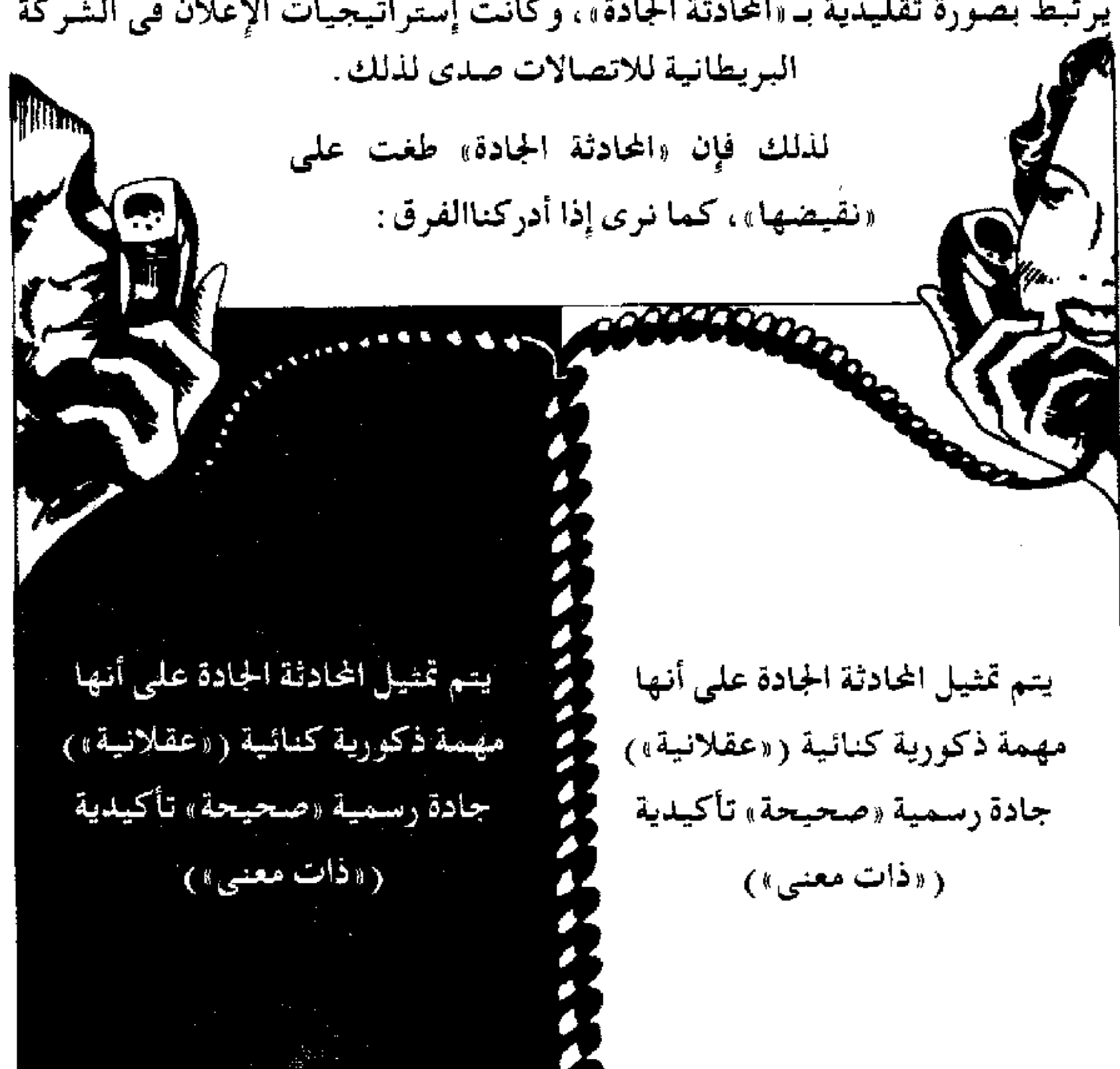
بالنسبة لأولئك الذين لا يستطيعون أن ينتظروا للمستقبل، ويرغبون في أن يكونوا محتالين علاميتين في الحاضر، لا يبصرون أبعد من مثال الحلول العلاماتية (ح. ع) (S.S) Semiotic Solutions ، وهو مكتب استشارات يقوم على البحث أسسته فرجينيا فالنتين في لندن، ويساعد صانعي الصور، ومخططي المؤسسات، ومطوري المنتجات في خلق استراتيجياتهم.



الحلول العلاماتية تقطع شوطًا كبيرًا على درب المنهج البنيوى، ففى السنوات القليلة الأولى لبداية عمل هذه الشركة - فى فترة ركود اقتصادى ازدادت حجم الأعمال التجارية فى هذه الشركة خمسة أضعاف. (شركة الحلول العلاماتية)

هناك بحث حديث فاز بجائزة - وكتبه مونتى ألكسندر (شركة الحلول العلماتية) وماكس بيرت (رئيس دير الرهبان ميد فيكرز)، وأندرو كولينسون يوضح كيف أن المنهج العلاماتى يستخدم فى التخلص من التفاهات المهملة للثقافة المعاصرة، وإعادة تشكيلها كأساس لحملة ما.

أثناء فحصها التليفونات، قامت شركة ألكسندر وشركاه بالتركيز على التقابل الثنائى بين «المحادثة الجادة» big talk فى مقابل «المحادثة العابرة»، كان التليفون يرتبط بصورة تقليدية بـ «المحادثة الجادة»، وكانت إستراتيجيات الإعلان فى الشركة البريطانية للاتصالات صدى لذلك.



في البحث الكيفي، تم أيضًا اكتشاف أن صنع العلامات عند المستجيبين فيما يتعلق بـ «المحادثة الجادة»، و«المحادثة العابرة» ـ مجموعة من الشخبطات ـ كشف ملامح العلاقة الاجتماعية الثقافية بالدال التي يفحصها كريس.



أحد العوامل الأساسية في تغيير مسار الحملة الإعلانية للشركة البريطانية للاتصالات، يتمثل في القضاء على التحيز للنوع الذي جعل التليفونات مجال «المحادثة الجادة» التي يحتكرها الرجال، أن التهوين من «لاعقلانية» «المحادثة العابرة» وإبراز ملاءمتها للرجال يجب أن يكون جزءًا من الرسالة الإعلانية.

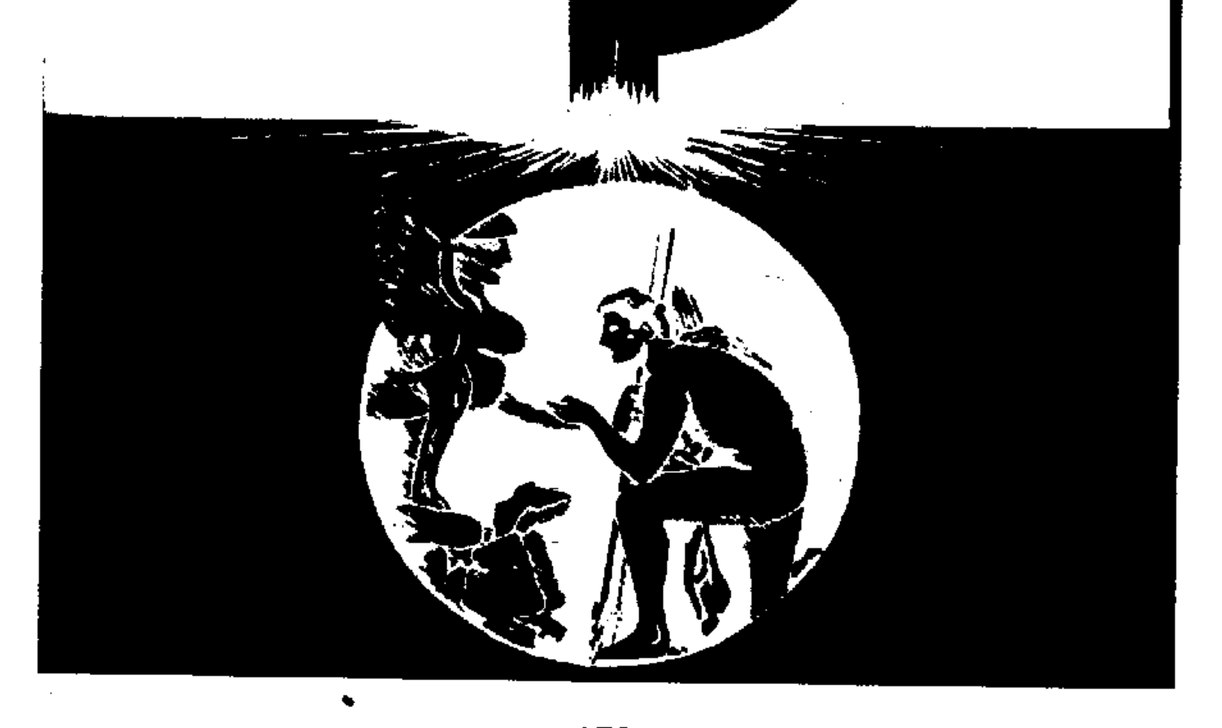
قام أول إعلان، في هذه الحملة الجديدة من الإعلانات، التي يتصدها الممثل بوب هوسكنز بهذه المهمة بنجاح كبير.

تظهر شركة الحلول العلاماتية أن هناك العديد من الناس الذين يعيشون دون أن يدركوا أنهم منغمسون أيضًا فى إنتاجية العلامات، وأحيانًا «يقومون» بعلم العلامات.

فى المؤتمر الأخير للجمعية الدولية للدراسات العلاماتية، كانت هناك محاور علم الإيماءة، والذكاء الصناعى، والمسرح، والعلم المعرفى، والسينما، والتصميم، والسياسة، والزمن، والموسيقى، والغناء، وعلم الأحياء، والأولية، والرسم، والإعلان، والقانون، والميت المعترب بالجميل(!)، والسرد، وعلم الجمال، والدين، والمعمار، والجسد والفكاهة، وفن الخطوط، والرقص، والنزعة التعليمية، والتاريخ، وأنظمة محاكاة الواقع، والتسويق، وموضوعات أخرى.

ها هى كنيسة واسعة إذن.

من اللافت للنظر أن أمبرتو إيكو استجاب مؤخرًا لطلب بتعريف مجال علم العلامات، وكان واضحًا من إجابته أنه يقصد أن علم العلامات هو التاريخ ككل.



قراءات أخرى

The literature of semiotics is big and getting bigger. The following titles correspond to the areas covered in this book and may be used as starting points for further reading.

There are two good general books which bring together different traditions in semiotics: S. Hervey, *Semiotic Perspectives*, London: Allen and Unwin, 1982, and the under-used collection of helpful essays (e.g. Eco on Jakobson), M. Krampen et al eds., *Classics of Semiotics*, New York and London: Plenum Press, 1987. Some landmark writings in semiotics (along with some from sociolinguistics, pragmatics and reception theory) are to be found in P. Cobley ed., *The Communication Theory Reader*, London: Routledge, 1996.

On classical semiotics start with D. S. Clarke, *Principles of Semiotic*, London: Routledge and Kegan Paul, 1987.

Saussure's *Cours* can be found in two translations: *Course in General Linguistics*, trans. W. Baskin, Glasgow: Fontana, 1974, and *Course in General Linguistics*, trans. R. Harris, London: Duckworth, 1983. The works of Peirce are also in two editions: *The Collected Papers of Charles Sanders Peirce*, 8 vols., ed. Charles Hartshorne, Paul Weiss and A. W. Burks, Cambridge, Mass.: Harvard University Press, 1931-58, and *The Writings of Charles S. Peirce: A Chronological Edition*, 30 vols. (projected), ed. C. J. W. Kloesel, Bloomington: Indiana University Press, 1982-. These are hard going; it may be best to start with J. Hoopes ed., *Peirce on Signs: Writings on Semiotic*, Chapel Hill and London: University of North Carolina Press, 1991. A good introduction and dual consideration of Peirce and "structuralism" is J. K. Sheriff, *The Fate of Meaning: Charles Peirce, Structuralism and Literature*, Princeton: Princeton University Press, 1989.

Roland Barthes' *Mythologies*, trans. Annette Lavers, London: Vintage, 1996 is a must, as are the essays in the popular edition entitled *Image-Music-Text*, ed. and trans. Stephen Heath, London: HarperCollins, 1996. If you enjoy these, go on to *S/Z*, trans. Richard Howard, Oxford: Blackwell, 1974. Your studies of Claude Lévi-Strauss, on the other hand, can commence with *Structural Anthropology 1*, trans. Claire Jacobson and Brooke Grundfest Schoepf, Harmondsworth: Penguin, 1977.

In terms of the topic of semiotics, the best place to begin with Jacques Lacan is his "The agency of the letter in the unconscious or reason since Freud" in *Écrits: A Selection*, trans. Alan Sheridan, London: Tavistock, 1977. You can provide yourself with a preliminary context by consulting Darian Leader's *Lacan for Beginners*, Cambridge: Icon, 1995.

Derrida's work (like Lacan's) is renowned for being difficult. However, his early writings are eminently sensible. Try "Semiology and grammatology: interview with Julia Kristeva" in P. Cobley ed., *The Communication Theory Reader*, London: Routledge, 1996 and then go on to *Of Grammatology*, trans. Gayatri C. Spivak, Baltimore and London: Johns Hopkins University Press, 1976.

The key writings of Charles Morris are available in *Foundations of the Theory of Signs*, Chicago: University of Chicago Press, 1938 and *Signification and Significance: A Study of the Relations of Signs and Values*, Cambridge, Mass.: M.I.T. Press, 1964. Before trying these you might wish to check out the essay by Roland Posner, "Charles Morris and the Behavioural Foundations of Semiotics" in *Classics of Semiotics* (see above).

Sebeok should be approached through the collection of his essays entitled *A Sign is Just a Sign*, Bloomington and Indianapolis: Indiana University Press, 1991, and his 1972 book, *Perspectives in Zoosemiotics*, The Hague: Mouton.

D. P. Lucid ed., *Soviet Semiotics: An Anthology*, Baltimore and London: Johns Hopkins University Press, 1988, and H. Baran ed., *Semiotics and Structuralism: Readings from the Soviet Union*, White Plains, N. Y.: International Arts and Sciences Press, 1974, contain key texts by Lotman and others in this tradition. This taster may lead you on to J. Lotman, *Universe of the Mind: A Semiotic Theory of Culture*, trans. A. Shukman, Bloomington: Indiana University Press, 1991.

The *Selected Writings of Roman Jakobson*, The Hague and Berlin: Mouton, 1962-87, run to 8 volumes and are worth looking at simply to get a sense of the breadth of Jakobson's work. More digestible are the two smaller collections of writings spanning his career: *On Language*, ed. L. R. Waugh and M. Monville-Burston, Cambridge, Mass.: Harvard University Press, 1995, and *Language in Literature*, ed. K. Pomorska and S. Rudy, Cambridge, Mass.: Belknap Press, 1987. *The Prague School* are represented in various anthologies of writings, for example P. Steiner ed., *The Prague School: Selected Writings, 1929-1946*, Austin: University of Texas Press, 1982. Available for some time, Mukařovský's *Aesthetic Function, Norm and Value as Social Facts*, trans. M. Suino, Ann Arbor: University of Michigan Slavic Contributions, 1979, is a must.

طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

رقم الإيداع ٤٥١١ / ٢٠٠٥





Introducing... Semiotics

Paul Cobly
& Litsa Jansz

أقدم لك ... هذه السلسلة !

يهتم هذا الكتاب بدراسة العلامات منذ بداية تاريخ الفلسفة من أفلاطون فى بعض محاوراته، وأرسطو فى كتاباته اللغوية ثم الرواقية والأبيقورية مارًا بالعصور الوسطى لا سيما القديس أوغسطين فى القرن الرابع الميلادى الذى أشار إلى العلامات التى يخلقها العرف، حتى الراهب «وليم الأوكاى»، والفيلسوف التجريبى فى القرن السابع عشر...إلخ. غير أن المؤلف ينبهنا إلى أنه رغم الجهود التى بذلها الفلاسفة طوال التاريخ ، فإن علم العلامات لم يظهر إلا فى القرن العشرين على يد عالم اللغويات السويسرى ف. دى سوسير (١٨٥٧-١٩١٣) الذى كلفته جامعة جينيف عام ١٩٠٦ بتدريس مقرر دراسى كامل فى علم اللغويات، وهى مهمة لم يقم بها من قبل. وبدأ، منذ ذلك الحين، علم العلامات فى الظهور، كما ظهر مصطلح خاص هو Semiology ارتبط بالمدرسة الأوروبية فى دراسة هذا العلم، فى مقابل مصطلح آخر هو Semiotics الذى ارتبط بصفة خاصة بالمدرسة الأمريكية، الذى بدأ بالفيلسوف البرجماتى الأمريكى «تشارلز ساندرز بيرس» (١٨٣٩-١٩١٤) صاحب النظريات المنطقية واللغوية.



علم العلامات